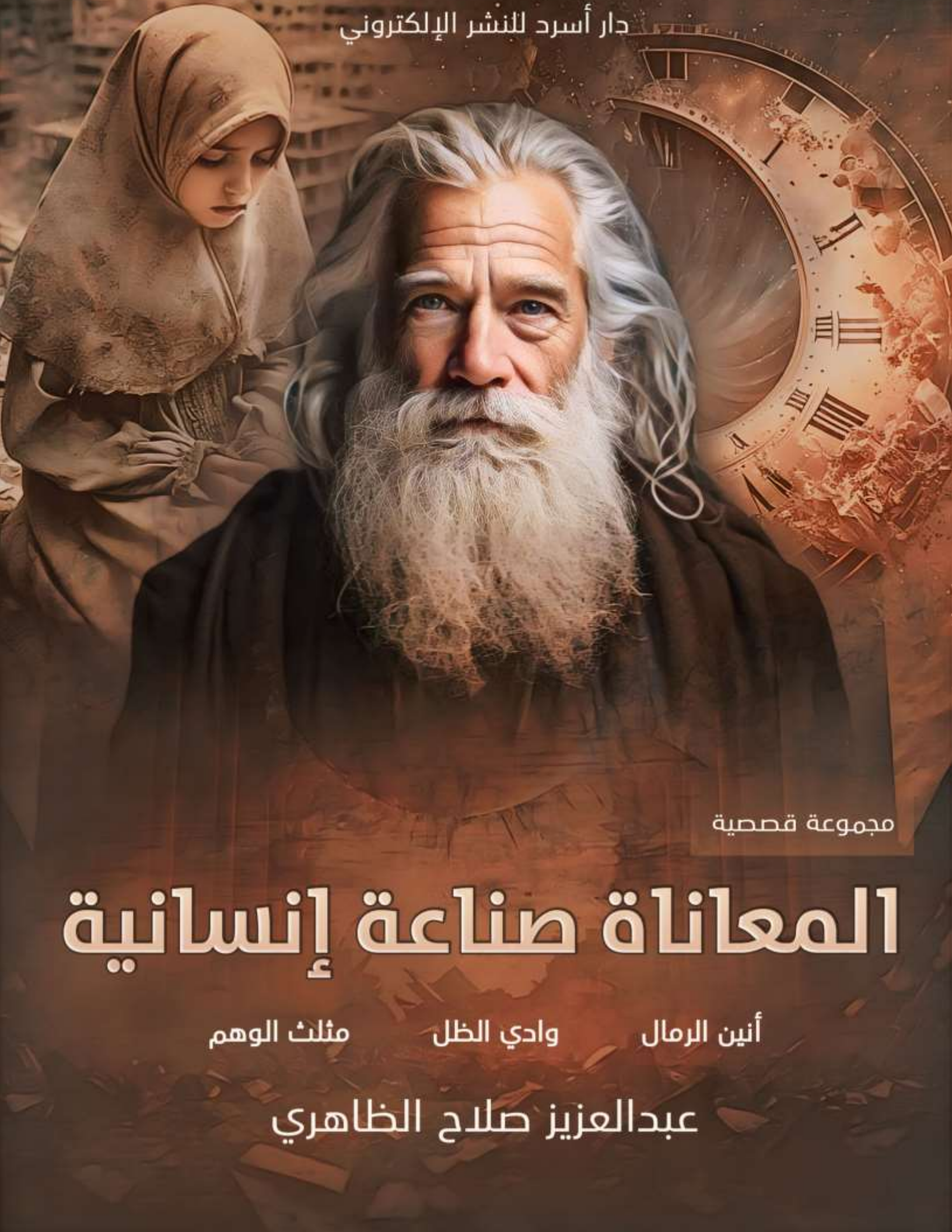


دار أسرد للنشر الإلكتروني



مجموعة قصصية

المعاناة صناعة إنسانية

أنين الرمال وادي الظل مثلث الوهم

عبدالعزیز صلاح الظاهري

المعاصرة

صناعة إنسانية

عبد العزيز صلاح الظاهري

للنشر الإلكتروني

تأليف / عبدالعزيز صلاح الظاهري

تدقيق / زينب خالد

تصميم غلاف: رحاب عبدالقادر

تنسيق وتصميم داخلي: بسنت علي

© جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بنسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال وبأي صيغة أو التصرف فيه بأي أسلوب من الأساليب بدون إذن خطي مسبق من الناشر والمؤلف معاً.

الناشر / أسرد للنشر الإلكتروني

الوتساب الخاص بالدار: 01113536610

البريد الإلكتروني:

asrud.for.e.publishing@gmail.com

إنَّ الآراء الموجودة في هذا العمل لا تعبر بالضرورة عن رأي دار أسرد للنشر.

أنين الرمال

ضحى الزمان في أحد الأيام لعام 1370 هجريًا المكان صحراء هيت...صحراء مترامية الأطراف بها العديد من الواحات...إحدى واحات اليقطين...خرجت (فاطمة) حاملة فوق رأسها صحنًا فيه إبريق من الشاي وخبز وهي تمشي بخطوات متسارعة يبطنها بين الحين والآخر فستانها الطويل الذي يحمل عدة ألوان يغلب عليها اللون الأحمر يفرق بينها خيوط من القصب مما يجعل هذا الفستان له لمعان مع كل خطوة أو حركة.

لقد أحب سكان الواحة والواحات الأخرى داخل هذه الصحراء هذا النوع من الفساتين وفضلوها على سواها.

قد يكون حبهم لهذا النوع احتوائه على ألوان تفتقدها طبيعتهم الصحراوية القاسية...تابعت (فاطمة) خطواتها إلى أن وصلت إلى إحدى الأشجار تميزت بظلها الوارف ووضعت ما كانت تحمله على رأسها وقامت تنادي وتصفق على زوجها الذي كان يعمل بين النخيل فأجابها بإشارة من يده التي كان يحمل بها منجلًا علقه على نخلة

وذهب إلى جدول الماء وغسل يديه ووجهه واتجه إليها بينما قامت هي بإبعاد الأشواك وبتمشيط الأرض بيديها وأخذت حصيرة ملفوفة بالقرب من تلك الشجرة وفتحتها وقامت بنفضها وفرشها ووضعت ذلك الصحن في منتصف الحصيرة وما أن وصل زوجها حيته ورد التحية بإيماءة من رأسه وجلست بالقرب منه وصبت له فنجاناً من الشاي قامت بوضعه أمامه...

مد يده نحو الصحن وبدأ الأكل... وهي تنظر إليه وبعد فترة صمت.. قالت: لقد حلمت ليلة البارحة أن زهرة رائعة الجمال لها ألوان متعددة خرجت من أحشائي وما أن تعرضت للهبب الصحراء حتى ذبلت وماتت... لقد أقلقني هذا الحلم فسألت جدتي عنه، فقالت: مباركاً لك قد يكون ما في رحمك فتاة.. ففرحت وقلت لها فتاة بعد 4 أبناء أتمنى ذلك ولكن ماذا عن الذوبان والموت؟

فقالت الجدة: لقد ذبلت وماتت من لهيب الصحراء وهذا حالنا جميعاً... فلا تشغلي بالك... وما تفسيرك يا حارثاً لهذا الحلم؟
حارث: لا أعلم... إنه مجرد حلم.

فاطمة: رغم أنه حلم إلا إني فرحت كثيرًا بتفسير جدتي له.. ألا تتمنى أن ترزق بفتاة؟

حارث: فتاة؟!.. في الحقيقة لا.

فاطمة: لماذا؟!!

حارث: الفتاة بالنسبة لي كابوسًا.

فاطمة: كابوس ماذا تقول؟! وما الفرق بينها وبين الفتى؟!

حارث: بالنسبة للفتى أتولى مسؤوليته لمدة بسيطة أما الفتاة فإنني أتحمل همًا حتى الممات.

فاطمة: إن أجمل ما في حياة الرجل هي المرأة فكيف تكون همًا؟

حارث: كفاك جدالاً لقد طلبت رأيي وأخبرتني... وانقضى من مكانه واتجه لمواصلة عمله بينما بقيت (فاطمة) جالسة في مكانها مذهولة من كلام زوجها فلم تتوقع أن يكون هذا رده وأخذت تتمتم: هم!! المرأة هم!!... وقامت من مكانها متثاقلة لم تحمل الصحن الذي

أحضرتة معها أو تطوي الحصيرة كعادتها...تركت كل شيء خلفها
وتابعت سيرها متجهة إلى دارها.

مرت الأيام والليالي ولم تنسَ فاطمة ذلك الحلم...بل كانت تتربص
حدوثه وجاءت البشارات وأخذ يظهر ويكبر ما كانت تحمله في
أحشائها...

أحست بأوجاعه وآلامه فقد جاء الموعد وكان في منتصف شهر
إحدى ليالي الشتاء الباردة....

في تلك الليلة ملأ القمر السماء وأنار وجه الصحراء بنورٍ ساطعٍ حاد
على غير العادة، قامت فاطمة من نومها أيقظتها الأوجاع...أحست
بقرب موعد ولادتها فقامت بمناداة ابنها البكر وطلبت منه استدعاء
أمها وجدتها...حضرت أمها بسرعة تتبعه الجدة...وسُمع صوت
المولود من داخل الكوخ بعد لحظات قليلة بعد وصولهما..

في تلك الأثناء كان حارث يقف متوترًا على بعد أمتار من الكوخ وما
أن سمع صراخ المولود حتى جلس على الأرض ووجهه بصره إلى
السماء ناظرًا إلى سحابة داكنة سوداء اقتربت من القمر وحجبت نوره

الساطع....لم تمر هذه الظاهرة عليه مرور الكرام لقد تعلم من الصحراء أن ما تراه العين قد يكون ابتلاء فأخذت طبول قلبه تنشد لحنها الحزين...فسترجع وأخذ يتضرع إلى الله عزوجل

قام من مكانه واتجه إلى الكوخ عندما سمع والدته زوجته وهي تناديه قائلة: إنها فتاة جميلة كالقمر..

وعلى ضوء السراج الضئيل رأى زوجته-التي بدت على وجهها فرحة ممزوجة بالخوف- ممددة على الأرض وبجانبيها جدتها بينهما المولودة..

قالت له جده: مبارك عليكما المولودة ماذا تريد أن تسميها؟
حارث: سوف أترك تسميتها لفاطمة...ونظر إلى المولودة نظرة خاطفة ثم وجه سؤاله لزوجته ما الاسم الذي ستختارينه لها؟

فاطمه: قالت بعد تردد ما رأيك في ورده!

حارث: ورده!..اسم جميل...وذهب...

أجهشت (فاطمة) بالبكاء...فقالت أمها ماذا يبكيك؟

فاطمة: إنه لم يبدِ أية فرحةٍ بها حتى أنه رفض أن يسميها.

أمها: ماذا تقولين... هل يوجد أب يكره مولوده؟!

فاطمة: نعم... إنه يكرهها إنني لم ألاحظ عليه هذا الجمود منذ إنجابي لأولاده الأربعة فقد كانت الفرحة بادية على وجهه ولم يطلب مني تسميتهم.

الجدة: لقد أراد تكريمكِ بالتسمية.

فاطمة: وماذا عن جموده وشحوب فرحته بها إنني لم أراها تلوح ولو للحظة على وجهه؟

الأم: قد يكون مرهقًا...أو مشغولاً بأمر ما.

فاطمة: مرهقًا!...لاشك إنه يكرهها إنه لم يقبلها أو يقترب منها! الجدة: كفاك ندبًا ولتحمدي الله فقد كان هناك أقوام يدفنون بناتهم وهن أحياء.

فاطمة: ولماذا؟!

الجدة: خوفًا من العار.

فاطمة: إذ لم يبقَ من هؤلاء الناس أحد فبدون أنثى كيف يكون التكاثر؟!

الجدة: لا... وذلك لوجود عقلاء بينهم.... والغريب في الأمر أنهم كانوا ينظرون إليهم حثالة القوم وضعافهم.

فاطمة: وما زالوا مستمرين على ذلك؟

الجدة: لا لقد قلت إن هذا كان يحدث في الماضي البعيد... ولقد أتاهم رسولاً حارب معتقداتهم وشفهها وطلب... بل أمر بتكريم المرأة وقد أصبح أولئك القوم و ذريتهم من أكثر الأقوام حضارة و رقي بين الأمم.

فاطمة: و ماذا عنهم الآن؟!

الجدة: لا أعلم عنهم شيئاً.

فاطمة: و من أخبرك بهذه القصة؟

الجدة: إنها قصة تداولها الناس و لقد أحببتها و لا أعلم مصدرها و لكن بالطبع من قالها لي أنثى.

فاطمة: إنها قصة مثيرة يا جدتي.

مرت الأيام تباغًا و (فاطمة) ترعى ابنتها الجميلة وهي تنمو وتكبر شيئًا فشيئًا لتصبح أنيستها في غياب زوجها وأولادها وبدأ تأثير (وردة) على كل العائلة كانت مصدر سعادة الجميع...

كان تأثيرها العظيم على أبيها الذي ما أن يصل إلى داره حتى تتجه إليه (وردة) تحضنه...تجلس بقربه وتحاول مشط شعر رأسه و ذقنه..و تقبله بين الحين والآخر و احيانًا تأتي و تتعلق به وهي تغني بلغتها الملائكية المبهمة و تدور وتلتف حوله كغيمة باردة منعشه كزهرة يفوح عبيرها...وتتوقف عن الغناء وتمسك ذقنه بحنان وتنظر إليه و تضحك ضحكات بريئة وكأنها تسأله عن مدى إعجابه بالأغنية...ثم تتابع الغناء والدوران حوله وهي تحتك به...ثم تقف خلفه تغني و هي تطوق عنقه بيديها الناعمتان ...

تعلق (أباها) بها وأحب غنائها فكلماتها المبهمة تدخل القلب وتطربه....

توالت الأيام و كبرت (وردة) و كبر حب أبيها لها فأصبحت تسابق والدتها وتنافسها على إسعاده حتى أصبحت (فاطمة) تغار من ابنتها. وفي أحد الأيام جاء خال (وردة) خاطبًا إياها لابنه.

فقال له أبيها: إنني كما تعلم أحب ابنك ولكن يجب عليّ مخاطبة أبناء عمومتها فهم الأحق بها..

فقال خال (وردة) نعم معك حق..

وذهب (حارث) لكبير العائلة وقال له: تقدم (لوردة) خطيبًا هو ابن خالها كما تعلم فهو على خلقٍ طيب فأتيتك لأخذ المباركة منكم..

فأجابه: أعطني مهلة وأرد عليك، وقبل انقضاء الأسبوع جاءه كبير العائلة إلى البيت وقال له: لقد عرضت الأمر على الجميع وباركوا الزواج ولكن (ظالم) رفض وقال أنا أحق بها من البعيد.

حارث: ولكن (ظالم) رجل متزوج باثنتين.

كبير العائلة: وهل يعتبر هذا عيبًا؟

حارث: لا لكن لا أعتقد أن (ظالم) مناسب لابنتي.

كبير العائلة: ماذا أسمع وممن..من حارث الرجل الحكيم؟

حارث: هل بالإمكان استشارة (وردة) على الأقل؟

كبير العائلة: ماذا حدث لك يا حارث وهل تستشار الأنثى؟!

حارث: ولكنها ابنتي الوحيدة.

كبير العائلة: إنني أرى رجلاً غير حارث الذي أعرفه...استمع إليّ لا خيار لك...وسيكون الزواج في الأسبوع القادم...تم إنهاء الامر.

خرج كبير العائلة وترك (حارث) يسبح في بحر من الثقل لا ساحل له...فجاءته (وردة) وما أن رآها حتى أجهش بالبكاء...وجذبها من يدها وأخذ يقبلها ويضمها...وهي تقول: أبي ماذا بك ماذا يقلقك؟!

فدفعها برفق وبدأ يمسح دموعه وأمرها أن تستدعي والدتها وحدها وطلب منها عدم الحضور...قال لها متجهما وبصرامة: والدتك وحدها أسمعين..

سرحت (وردة) وأخذت تسأل نفسها مندهشة محاولة تفسير ما يجري

ماذا حل بأبيها؟!

فتارة يبكي ويقبلها! وأخرى ترى الغضب والتجهم في وجهه!... هذه الحالة لم تعهده عليه منذ صغرها.... ولم تتنبه إلا على صياح أبيها: هيا... هيا أسرع.

فهرولت إلى الكوخ لمناداة أمها بينما اتجه أبوها إلى إحدى أشجار النخيل وأسند ظهره عليها... وعندما وصلت إليه زوجته رأت عينيه غارقتان بالدموع... تملكها الخوف واقتربت منه وقالت: (حارث) ما بك يا زوجي العزيز خيرًا ماذا حدث؟!

حارث: لقد انتهيت لقد انتهت الأيام الجميلة ألم أقل لك.

فاطمة: ماذا تقول ماذا حدث وماذا تقصد؟!

حارث: أنظري لحالي أنا أبكي مثل الأطفال إنني ظهرت ضعيفًا أمام كبير العائلة لقد تم توبيخي وأنا الرجل الذي لم يتجرأ عليه أحد من عائلتي أو من خارجها.

فاطمة: لقد أقلقيني ماذا حدث؟... وما هو سبب توبيخك؟!.. وما حكاية ضعفك وهوانك؟!

حارث: أتريدين أن تعرفي أيتها الجاهلة... أن سبب ذلك هو وردتك الجميلة.

لقد دنا ذبولها لقد دنا موتها...والشيء الذي لم تعرفيه في الحلم أو تشاهديه هو قرب ذوباني وموتي كذلك...

فاطمة: ماذا تقصد بوردتى؟..إنك تتكلم عن (وردة).

لقد فهمت ماذا تقصد...الآن عدت إلى فكرك القديم ماذا حدث؟! إنها حبيبتك إنها مصدر سعادتك إنها أغنيتك الجميلة.

حارث: لم يتغير فكري، ولكنهن مثل الخمر يشربه المرء ويشعر بسعادة غامرة يفقد عقله خلالها...ويتصرف كالأحمق ليضيع قدره ومهابته أمام الناس وينتهي بصداق وغثيان وندم.

وها أنا الآن أعاني من الصداق...أذهبي إلى ابنتك وجهزيها فزواجها سيكون في نهاية الأسبوع من (ظالم)، ولكن (ظالم) متزوج باثنتين وهو يكبرها بسنوات وفوق ذلك يعامل زوجاته كالحيوانات...وماذا عن ابن أخي؟...لقد جاءك أخي وخطب (وردة) منك فهو فتى ذو خلق طيب ومناسب لها.

-ها...ها لقد بدأت معاناتي لقد بدأ الغثيان اسمعي يا امرأة اذهبي لابنتك وجهزيها وإلا والله سوف أطلقك وأذبحها وأخلص نفسي منكن جميعًا أسمعين؟.

-حاضر...حاضر ولكن لا تغضب وذهبت مسرعة بينما جلس هو على الأرض يبكي بحرقة ويأخذ من التراب ويحثوه فوق رأسه ويردد لقد انتهت الأيام الجميلة لقد انتهت إلى غير رجعة.

ومرت الأيام السبع الثقال على (وردة) وأمها وأبيها وخلال هذه الأيام السبع لم يقترب (حارث) من منزله وقضى تلك الأيام في مزرعته وطلب من زوجته وأولاده منع (وردة) من الخروج...

وجاء اليوم الموعود وقدم (حارث) ابنته

إلى (ظالم) وكأنه يرسلها إلى مثواها الأخير

يومها عاد (حارث) لداره، ولكن عاد بوجه غير ما عرف عنه فقد صمت عن الكلام فلم يعد يأمر أو ينهى أو يسأل فقد كان شارد الذهن حزينًا...

وفي أحد الأيام وبينما هو جالس يتناول عشاءه دخلت عليه (وردة) وهي تبكي... فقام من مكانه وخرج من داره واتجه إلى مزرعته وتبعته (وردة) وعندما أحس بخطواتها توقف... وألقت إليها فبادرته.

-لماذا تهرب مني؟!.. لقد تزوجت من الرجل الذي اخترته...

إنه يعاملني كالحيوان... فأنام على الضرب وأصبح عليه والشيء الإيجابي في هذا الزواج هو أنني الزوجة الثالثة حيث لا أراه كثيرًا. حارث: يضربك بدون سبب أعتقد أني أصدقك؟... أعتقد أن تربيتي لك كانت خاطئة فقد شاركنا أنا ووالدتك بتدليلك.

وردة: أبي ماذا حدث لك أشعر وأنت تكرهني؟!

حارث: يجب أن تعتادى الوضع الجديد إنك وكما قلت: لا ترينه إلا يومًا في كل ثلاثة أيام هذا يعني مرتين في الأسبوع حاولي التقرب منه وأعلمي أنني لن أكون في صفك... فالمرأة ليس لها غير زوجها مفهوم؟

وردة: هذا إذا كان زوجًا إنه أشبه بالحيوان.

حارث: ماذا تقولين؟ حيوان...ها لقد عرفت لماذا يضربك...إنك تحتاجين للأدب...أغربي عن وجهي أغربي هيا عودي إلى دار زوجك...وحمل المنجل واتجه إليها وهو في حالة جنون وقال وإلا والله قطعت عنقك بهذا المنجل.

تراجعت (وردة) وهي مفزوعة تترنح وتنظر إلى والدها في ذهول.. وعندما شعر والدها بخوفها رمى المنجل من يده وأسرع إليها وضمها وهو يقول: إنني أتحمل كل شيء في هذه الدنيا إلا أن أرى الخوف في عينيك الجميلتين..

ولتعلمي أن حياتي صارت تعيسة منذ اليوم الذي فارقت هاتين العينين الفرحة فكيف وأنا أرى الخوف فيهما؟!
إنك أجمل شيء حدث لي في هذه الحياة..

أنت يا من روحي وجميع جوارحي تتأثر بك، فعندما تكونين سعيدة أكون كذلك وإن كنت حزينة كانت حياتي كذلك..

إنني أحببتك منذ أول يوم رأيتك فيه ولكن هذا قدرك وقدري فإسعاد الأنثى في مجتمعنا ليس من شيم الرجال.

رغم أنهم يمثلن للرجال الدفء والحنان فالأنثى هي الأم وهي الزوجة وهي الأخت وهي الابنة الحبيبة ولن يكون للحياة طعم بدونهن.

لقد اعتبر قومنا أن المرأة رمزًا للشرف وبالغوا في المحافظة عليها وبأساليب معقدة حتى أصبحت عبئًا عليهم ومصدرًا لإزعاجهم... فأني هفوة منها تعني نهاية عائلة بل قبيلة... لذا أنت لست ملكًا لي وحدي فأنت ملكًا للعائلة وللقبيلة فمصيرك ومصيري مرتبط بهم... إن قصتي يا حبيبتي كرجل وجد نفسه في عرض البحر داخل مركب فبقاؤه في المركب يعني نجاته وخروجه منه يعني موته... فذلك الرجل هو أبوك فارحميه.

وردة: أبي هوّن عليك إن ما سمعته منك يكفي لأن أتحمّل أي شيء وبسعة صدر فكل شيء يهون إلا أن أراك حزينًا وسوف أذهب إلى دار زوجي و أطيعه وأتحمله ولا أريدك أن تحمل همي فإن كلماتك غمرتني بالسعادة فسماعي لكلمة "ابنتي الحبيبة" بعد انقطاع لهي أجمل ما سمعت في حياتي.

وقامت بتقبيل رأس أبيها وطلبت منه أن يقوم بمرافقتها إلى بيتها
وشرب القهوة من يدها... فاستجاب ملبياً دعوتها

فمشيا سوياً وهي ممسكة بيده بحنان وهما يبتسمان تارة ويضحكان
تارة أخرى وتبادلا الأحاديث كثيراً في طريقهما وعند وصولهما المنزل
أسرعت

وأعدت له القهوة وهما لا يصمتان ولو للحظة عن الحديث لم يكن
لحديثهما عنوان بل كان فقط حديث ليس له قيمة...

لم تتركه (وردة) يغادر بعدما سمعته يقول: الآن يا بنتي أشعر أن
الحياة عادت إليّ..

وردة: إذن القهوة لا تكفي ما رأيك في أن تتناول العشاء أيضاً من يدي.
حارث: حقيقة أردت أن أطلب منك ذلك فأنا لم اشتد الطعام بهذا
القدر من قبل.

توالت الأيام وتحملت (وردة) تصرفات زوجها ومعاملته القاسية لها...

وكل ذلك من أجل أبيها الحبيب كي لا تحمله عبئها وكانت عند زيارتها لأبيها تظهر له أنها سعيدة وأن جميع أمورها مستقرة وقد أنجبت ثلاثة بنات جميلات من (ظالم) و الذي توفي عنها بعد أن أمضت معه 6 أعوام كانت أسوأ أيام حياتها هن -هند وسلمى وعبلة-

وكعادة القرويين بقيت (وردة) في دار زوجها وتحت رعاية أبنائه والذين كانوا أكبر منها فقد أصبحت ارملة وهي في سن 25 عامًا ورغم أنها صغيرة كانت مسألة زواجها من رجل آخر كارثة بالنسبة لها فلو حصل ذلك سوف تطرد من الدار وتحرم من بناتها...لذا لم تفكر في الزواج من رجل آخر فهي خسرت ثمانية أعوام من عمرها ولا تريد أن تخسر ما تبقى من زيجة قد يكلفها خسارة بناتها.

لذلك رفضت جميع العروض المقدمة لها بالزواج وتفرغت لبناتها.. وأطلقت العنان لخيالها فأصبح عالمها الذي تعيش فيه فلن يستطيع أحد مهما يكن أن يمنعها بالتلذذ بهذه المنحة الإلهية التي فقدتها في أرض الواقع...

توالت الأيام وجاء اليوم الموعود والذي كانت تخشاه (وردة) فقد أصبح عمر ابنتها البكر 17 عامًا وهذا يعني اقتراب و دنو ضحية جديدة تقدم من أجل عادات ظالمة.

وحدث ما كانت تخشاه وجاء ابن زوجها البكر (رباح) إلى منزلها...

رأته وكأنه جزار جاء إلى حظيرة ليختار ضحية ليقدمها وليمة لأناس لا يستحقون، وقام باستدعاء (وردة) وقال لها: إن (ساهر) تقدم لخطبة (هند) وسوف يكون الزواج في نهاية الشهر فقالت له (وردة) أنت تعلم إن (ساهر) ليس بالرجل الكفاء لا عملاً ولا أخلاقاً.

رباح: لقد وافقنا عليه وانتهى الأمر وإن حضوري ليس لمشورتك أو أخذ رأيك.

وردة: كيف تقبل لأختك عريساً مثل هذا وأنت الرجل العاقل؟

رباح: إنك تتحدثين عن المنطق في عالم لا يسكنه المنطق أساساً ولم يقبل حتى بمجاورته....وعلى كل حال هذا حظها ونصيبها.

وردة: إذن أذهب وحدثها فهي أختك.

رباح: لقد تزوج أبي كثيرًا وأنجب كثيرًا وتوفى وترك لي هذا العباء الكبير إنني أتعذب.... فأنا مطالب بالموافقة على الزواج بدون تردد إن كان المتقدم من العائلة سواء كان رجلاً صالحاً أو طالحاً وهنا يأتي دور الحظ وهذا حظ (هند) ونصيبها.. فالرجاء أن تخبري ابنتك فيكفيني ما رأيت... وداعاً.

وقفت (وردة) في مكانها تحدث نفسها ماذا أقول؟ ماذا أصنع؟... وإذا بناتها الثلاث يقفن بجانبها يسألنها ماذا يريد (رباح)؟!.

فأخذت (وردة) نفساً عميقاً ونظرت (لهند) وقالت: إنه جاء ليخبرنا بأن (ساهر) تقدم لخطبة (هند) وأن موعد زواجها بعد شهر... وما أن انتهت من جملتها حتى خرت (هند) على الأرض مغشياً عليها... فصرخت: ابنتي... ابنتي وأسرعت وأحضرت ماءً وسكبته عليها وهي تمسح وجهها وتصرخ: هند... هند تحدثني إليّ ابنتي تكلمي...

مرت الأيام وزفت (هند) إلى بيت زوجها لتبدأ قصة أخرى من معاناة ضحية أخرى تقدم قربان لأعراف وعادات باليه لم تجلب لأصحابها سوى القهر والهوان...

في النهاية اعتادت هند المعيشة في بنیان حياتها الجديد، واستسلمت أنه قدرها ومصيرها كما قيل لها... وبدأت عملها الروتيني من الأعمال المنزلية، والاستجابة لأوامر زوجها والعمل في الحقل رغم أنه من واجبات زوجها بينما كان زوجها يسهر الليل وينام النهار حتي أن انشغالها كان الشيء الإيجابي الذي ساعدها بعدم التفكير في تلك المعاناة التي تشعر بها..

وعندما تجد وقت فراغ-وهذا الشيء نادرًا ما يحدث-تذهب لزيارة والدتها..

وفي إحدى الزيارات لم تجد والدتها في البيت فسألت أختها عنها فقالت إنها ذهبت إلى جدتهما...وسوف تعود قريبًا..

فسألتها أختها الصغرى (عبله) كيف حالك وكيف هو الزواج؟

هند: أتسمينه زواجًا بالله تحدثني في شيء آخر وإلا سأعود إلى منزلي.

عبلة: ماذا تقولين تعودين إلى منزلكِ هذا يعني إحساسك بالأمان فيه... فالإنسان عادة يهرب إلى الشيء الذي يحب.

هند: إن تعيش الواقع أجمل من أن تصفيه فالوصف يجلب الألم.
قطعت حديثهما أختها الوسطى (سلمى) وقالت: دعكن من هذا أريد أن أخبركن بأمر.

هند: وهل يوجد أمر يخفى في هذه الواحة؟

سلمى: أتعرفن (ربيع) ذلك الرجل الذي يشتري محاصيل الواحة؟

هند: نعم أعرفه، ذلك القبيح الطماع.

سلمى: لقد حضر قبل أسبوع وبدأ بتحميل المحاصيل من مزرعة والدي وكان من بين العمال شاب لطيف وجميل رأني أحمل جرة الماء وقام بمساعدتي ورفعها على رأسي... وقام بجمع الحطب وحزمه

ورددت بفرح: كان يفعل ذلك كل ما رأني

وقبل مغادرته قال لي: إنه معجب بي وأنه يريد أن يطلب يدي
وسألني عن رأيي فشعرت بالإحراج وعندما أُلح عليّ نطقت وبجملته
واحدة فقط أذهب إلى أخي (رباح).

هند: إنها قصة جميلة... ولكن نهايتها سوف تكون مؤلمة.
سلمى: نعم هذا ما أخافه.

عبلة: إنني أكره ذكر أمر الزواج.. وأكره كوني أنثى.

سلمى: إنني لن أجعل أحداً يقرر مصيري سوف أقاوم.

هند: هذا يعني نهايتك.

سلمى: فلتكن ولتكن مبكرة.

وأثناء حديثهن سمعن نداءً.. وردة... وردة .

هند: من؟ (رباح) أدخل يا أخي.

رباح: كيف حالكن ونظر إلى بطن (هند) و أشار بيده قائلاً: متى
سيخرج هذا من قوقعته؟

هند: بعد شهرين وأتمنى أن يكون إجابة لسؤالك متى يخرج.

رباح: تتمنيته ولدًا.

هند: بالطبع نعم.

رباح: ولماذا؟!!

هند: إن حظوظه في هذا العالم أكبر.

رباح: أنا ذكر وكما ترين فاللحظات السعيدة في حياتي أكاد أعدها
عدا... لا علينا أين والدتك؟

هند: لقد ذهبت إلى جدتي.

رباح: إن الأمر الذي جئت من أجله هو يخصك يا سلمى.

سلمى: خيرًا.

رباح: لقد تقدم لك رجل من خارج الواحة شاب لطيف أحببته من
المرّة الأولى التي شاهدته فيها عند قدومه للواحة... وقلت: بما أنه
أعجبني فأكيد سوف يعجب أختي... ولكن الغريب والسؤال الذي
حيرني متى شاهد أختي وكيف؟!... ووجه هذا السؤال لسلمى وهو
يبتسم.

هند بخبت: نعم يا أخي إنه لأمر غريب.

رباح: والآن ما هو ردك أتوافقين عليه أم لا؟
طأطأت (سلمى) رأسها خجلاً وسكتت..

وأعاد أخوها السؤال ولكنها لم تستجب، فنطقت (هند) وقالت: إنها موافقة.

عندها ضحك (رباح) وقال: أمر دبر بليل..

إذن سأقوم وأبلغ كبير العائلة أردت فقط معرفة رأي (سلمى) قبل الذهاب إليه وقام بتوديعهن وتوجه إلى كبير العائلة وهو يتمتم ماذا سيقول لي؟

وكيف سأرد عليه؟!..

وعندما وصل إلى دار كبير العائلة وجد بجانبه ابنه البكر (بكر) فسلم عليهما وجلس وبعد لحظة صمت نظر (رباح) إلى كبير العائلة وقال: لقد جاء خطيب لسلمى.

كبير العائلة: ومن يكون هذا العريس؟

رباح: يُدعى (فارس) و هو يعمل مع المحصل (ربيع) وفي الحقيقة هو شاب طيب وذو خلق.

كبير العائلة: ولكنه غريب أليس كذلك؟

رباح: نعم غريب ولكنه على خلق ويناسب أختي.

كبير العائلة: لنسأل أبناء عمومتها.

رباح: أين أبناء عمومتها جميعهم متزوجون ومن خارج الواحة والمقصد أنهم تزوجوا من أغراب.

كبير العائلة: أولئك رجال...أما زواج المرأة من غريب فهذه مجازفة غير محمودة العواقب.

رباح: ماذا تقصد؟

كبير العائلة: أقصد إن كان الزوج من العائلة فإن شرفه من شرفها فهو ستر وغطاء عليها، والمرأة ضعيفة ويخاف عليها.

رباح: ومن جعلها ضعيفة أليست تصرفاتكم! من أين أتيت بالضعف ألسنا نحن السبب؟...لتكون كل إجاباتهن نعم، حاضر..

هل هذه الإجابات تساعد الشخص على التفاعل؟

لقد ذهب أبناؤكم للوائح الأخرى للحصول على غير هذه الإجابات.

كبير العائلة: إن هذه الإجابات تنم عن الأدب.

رباح: أتعني أن أبناؤنا كرهوا الأدب..

أليست أجابتك غريبة فقد تزوج أبناؤنا من خارج الواحة ولم يسأل أحد عن المعايير التي تفرض على كل امرأة من العائلة الغريبة عند خطبتها.

كبير العائلة: ماذا تقصد بهذه المعايير؟

بكر: نعم يا أبي إن كلام (رباح) حقيقة.

كبير العائلة: ومن طلب منك الرد أو التوضيح؟

بكر: هذا صحيح لم يطلب مني أحد وعلى كل حال أنا ذاهب.

كبير العائلة: أذهب إلى غير رجعة... وأنت يا (رباح) لقد تركتك تتماذى وذلك تقديرًا لوضعك وللعبا الذي تركه لك والدك... وعلى كل حال أختك لن تترك عانسًا وسوف نجد لها الرجل المناسب.

رباح: ومن أين؟

كبير العائلة: سوف اسأل..وعلى ذكر ذلك الأمر فإن (سالم) يبحث عن زوجة له بعد أن طلق زوجته.

رباح: أرجوك لا تسأل...ولا تبحث ليس لدينا نساء للزواج...وترك لهم المكان بأكمله.

فاستوقفه على الفور كبير العائلة: أين ذاهب العشاء قادم؟.

رباح: ماذا؟!..عشاء...إنني أشعر بصداق وغثيان.

خرج رباح من دار كبير العائلة واتجه إلى الصحراء وهو يحدث نفسه كالمجنون ولم يتوقف وينتبه لنفسه إلا عندما شعر بالتعب والإعياء فرمى بجسده المرهق فوق الرمال وأخذ يفكر في طريقة ينقل إلى أخته الخبر ماذا أقول لها؟ كيف أخبرها؟حتى طلعت الشمس عليه وأحرقه لهيبها فرجع إلى داره وفي طريقه قابل (فارس) و اعتذر منه قائلاً: أعلم أنني لن أجد رجلاً بمثل كرم أخلاقك ولكن القرار ليس بيدي وحدي، وأستأذن منه ودخل داره..

لم تعجب (فارس) هذه الإجابة وجلس ينتظر خروج (سلمى) لجلب الماء وعندما شاهدها تقدم نحوها وبادرها قائلاً: لقد فعلت ما هو صواب بالنسبة لي...

لقد خطبتكِ من أخيكِ ورفض بحجة أنني غريب عن الواحة إن كنتِ حقاً تبادليني المشاعر فعليكِ مرافقتي والخروج من هذا المكان إلى أرضٍ بعيدة ونحدد مصيرنا بدلاً من أن نجعل الآخرين يحددونه لنا. سلمى: إنني أخاف إن فعلت ذلك فقد يتضرر أخي وأخواتي من هذه الكارثة.

فارس: إنهم في جحيم سواء هربتِ معي أو بقيتِ.

سلمى: ولكن الضرر سوف يزداد عليهم.

فارس: معكِ حق ولكن ماذا عني؟ ماذا عن حياتنا؟... لقد ضحوا من قبل فليضحوا الآن من أجل سعادتنا ما دام حياتكم في هذه الواحة تعتمد على الكذب والتضحيات.

سلمى: ماذا تقصد بالكذب؟

فارس: أنت تحبينني وأنا كذلك إن خروجي من هذه الواحة بدونك نهاية لي ولك وهذه حقيقة إلا إن كنتِ تريدين غير ذلك.

سلمى: ماذا تقول لا أتخيل الحياة بدونك.

فارس: إذن تجهزي سوف انتظركِ عند المكان المعتاد مساءً.

سلمى: إنني خائفة.

فارس: استمعي إليّ سوف انتظركِ الليلة وإذا لم تأتِ فإني سوف أغادر فأنا أكره الجهل والتردد لقد قمت بما عليّ ولن أعش في تلك الأوهام فإن تخوفك غير مبرر وغير منطقي إنه وهم ولن أضيع الوقت من أجله...

غادر (فارس) المكان وترك (سلمى) واقفة والجرة في يدها..

ظلت على تلك الحال مدة من الزمن ثم أغفلت راجعة إلى دارها.

وعند وصولها لاحظت أمها شرودها وأن الجرة خالية من الماء

فسألتها: ماذا حدث لك؟ أين كنتِ؟ أين الماء؟!

سلمى: إنني متعبه أرجوك يا أمي اتركيني أريد أن أستريح.

الأم: هل حدث لك مكروه؟..اخبريني.

سلمى: تخافين عليّ من المكروه وأي مكروه...إذا حدث ذلك سوف يسعدني فهو نوع من التمرد..فالمكروه نعيشه ساكنًا بيننا دائمًا...ولكن لم أسمع باسمه من قبل اتركيني...اتركيني أريد أن أستريح..

تركتها أمها فدخلت حجرتها واستلقت وغطت نفسها بلحاف رغم أن الجو حار والشمس في كبد السماء...فقد أرادت أن تخلو بنفسها وتقرر هل تذهب مع حبيبها...أم تبقى هنا منتظرة الموت..

فجأة تحركت...ركلت اللحاف بقدمها وانتصبت وأحضرت كيسًا وقامت بتجميع ملابسها واحتياجاتها ووضعتهم في أحد الأركان..

دخلت عليها والدتها ولاحظت الكيس فسألتها: أين تنوين الرحيل؟

سلمى: الرحيل...ماذا تقولين؟!

الأم: أراكِ حملتِ أغراضك؟

سلمى: أتريدين الكيس خذيه...ألا يمكن أن أفعل أي شيء في حياتي بدون أن يسألني أحد..أليست هذه أغراضي؟

الأم: نعم هي أغراضك يا بنيتي ولكن ألا ترين إنه أمر في غاية الغرابة؟.

سلمى: وما هو الشيء غير الغريب في هذه الواحة إن كل شيء هنا غريب.

الأم: هل أنت بخير؟.

سلمى: نعم أنا بخير اطمئني.
ولكنني أريد أن أجلس وحدي...إنني أشعر بضيق يمزقني...أنا آسفة
يا أمي أتمنى أن تتركيني بدون أسئلة.

الأم: سوف أتركك ولن أسألك وقامت واستدعت ابنتها (عبلة) وقالت
تعالى ساعديني واتركي أختك لوحدها.

وما أن خرجت من الحجرة سألت (عبلة) أتعلمين شيئاً لا أعلمه أنا؟.

عبلة: لقد جاءنا ليلة البارحة أخي (رباح) وأخبر سلمى أن هناك رجلاً جاء لخطبتها وهو من خارج الواحة وأراد أخذ رأيها قبل توجهه لكبير العائلة لمشورته... وكانت في غاية السعادة لسماعها هذا الخبر... ولا أعلم ماذا حدث بعد ذلك.

الأم: هل عاد أخيكم؟

عبلة: ليس بعد.

وقامت (وردة) إلى دار (رباح) وعندما وصلت سألت زوجته عنه... فلما سمع (رباح) صوت (وردة) خرج مسرعاً خيراً ماذا تريدان؟ وردة: ما بك يا (رباح) وكأن الشؤم دخل بيتك أتكراه أن تراني.

رباح: أعذريني يا (وردة) فإنني كرهت كل شيء حولي حتى أنني كرهت نفسي.

وردة: لقد جئت لك لأزيد همومك فأنت رجلنا... لقد ذهبت أختك كالعادة لإحضار الماء ورجعت بوجه غير الذي ذهبت به... وقد قامت ببعض التصرفات التي أقلقتنني فقد جمعت أشياءها ووضعتها في كيس وهي في شرود تام...

رباح: إذن وصلها الخبر ولكن كيف حصلت عليه؟

وردة: كبير العائلة رفض كالعادة.

رباح: نعم لقد رفض...إنني كرهت العائلة وكرهت العيش في هذه
الواحة.

وردة: وماذا عن أختك...أخاف أنها تخطط لشيء ما.

رباح: ماذا تريد مني أسجنها؟! أو أقتلها؟! دعيها فإنها اذا قامت بأي
عمل فإنني سألتمس لها عذراً.

وردة: تحدث إليها فهي تحبك.

رباح: إنني أحبها كذلك ولكن ماذا أقول؟ وماذا أقدم لها؟ فأنا مثلها
أتلقي التعليمات لذا اتركها تختار قدرها بنفسها فهذا أرحم لنا ولها.

وردة: وماذا عن أحاديث القبيلة عنها وعنا؟

رباح: أقسم أنهم سيسعدهم سماع ذلك...وعلى كل حال ألسنا عائلة
واحدة وما يعيننا يعيبهم كذلك

وردة: إنني أتعجب مما تقول... أنه إذا حدث ما تعنيه ستكون كارثة عليّ وعليك وعلى أخواتك.

رباح: ماذا سيحدث؟! لا شيء... والآن أستاذك فأننا مرهق.

وردة: لا حول ولا قوة إلا بالله.

عادت (وردة) إلى دارها لتجد ابنتها نائمة فجلست بجانبها وتحسست رأسها وبقيّة جسمها وسألت أختها: منذ متى وهي نائمة؟
- من لحظة خروجك فقامت كعادتها بتفقد دوابها وإطعام طيورها
وعندما عادت اتجهت للحجرة لتطمئن على ابنتها فلم تجدها
فخرجت مسرعة من الحجرة وصاحت على (عبلة) و التي أقبلت
مسرعة فسألتها: أين أختك؟

عبلة: أليست في الحجرة؟! لا نشر الإلكتروني

وردة بغضب: إذا كانت بالحجرة هل كنت سأبحث عنها؟... هيا
اذهبي لأخيك واخبريه

وقامت هي بتتبع خطوات ابنتها وبعد أن قطعت مسافة لاحظت أن خطوات (سلمي) اختلطت بخطوات أخرى مما زاد قلقها وأثبتت شكوكها فأسرعت تسابق الأثر وتصرخ سلمى، سلمى..

توغلت الخطوات داخل جوف الصحراء ولم يعد يسمع سوى حفيف الرياح التي تهب من جميع الاتجاهات لتخفي تلك الخطوات وما تبقى (وردة) من أمل..

فأخذت تعدو وتتصفح الأرض ككلب لعلها تجد أثر يقودها... واستمرت على هذا الحال تجري... تتوقف.... تدور وعيناها معلقة بوجه الأرض ظلت على هذه الحال حتى سقطت مغشياً عليها.... ولم تصح إلا و (رياح) و (عبلة) عند رأسها فقامت وأخذت بثياب (رياح) وهي تنظر إلى (عبلة) و تردد بأسى وحرقة: لقد رحلت لقد رحلت... وماذا أفعل؟ ماذا أقول؟

لقد أخبرتك لقد قلت لك... كيف أواجه الناس؟!، ماذا أقول لهم؟!

ما هو مصيرنا؟!.. يجب أن أرجعها إلى الدار... وقامت تبكي بحرقة و تستنجد (برباح) أرجوك... أرجوك أذهب أبحث عنها أعدها إليّ إن عقلي يكاد يطير.

رباح: أولاً سأرجعك إلى الدار وبعد ذلك سوف أبحث عنها إنها أختي
إنني مسئول عنها.

وردة: سوف أرافقك.

رباح: ماذا تقولين لن تذهبي معي والآن سوف آخذك لبيتك أفهمت
لبيتك.

وردة: وا حسرتاه على ابنتي وا حسرتاه عليها... لقد قلت لك إنها تنوي
على شيء لقد قلت لك.

رباح: إنني سأقوم بالبحث عنها فقط من أجلك ولكن في قرارة نفسي
فإنني سعيد بما فعلته... لقد حررت نفسها لو فكرت قليلاً لفرحت
بها.

وردة: ماذا عن الناس؟ وماذا سيقول زوج (هند)؟ هذا
سيفرحه؟!.. وماذا عن (عبلة) ما هو مصيرها؟!

رياح: المعاناة ليست غريبة على (هند) و ما هو المستقبل المشرق الذي ينتظر (عبلة) هيا... هيا قومي لآخذك إلى دارك.

أخذ (رياح) مؤنته وجهاز بعيره وعندما هم بالخروج، جاءت زوجته وقالت: انتظر حتى الصباح وخذ أحدًا يعرف الطريق يدلك في الصحراء أنك تعرض نفسك للخطر، الأمور لا تعالج وقت الغضب.

رياح: ومن قال لك إنني غاضب، إنني ذاهب إلى الصحراء لكي احتفى بها فأنا متأكد أن أختي سعيدة... إلى اللقاء وأهدي سلامي للجميع.

زوجته: ماذا حدث لك هل أنت بخير؟... أرجوك لا تخرج أرجوك أبقى على الأقل حتى الصباح.

رياح: انتظر يومًا جديدًا وفي هذه الواحة ماذا دهاك إنه عمرًا بأكمله... قد يحدث شيء خلال هذا الوقت... أليس كذلك يا عزيزتي؟.

وخرج (رياح) من منزله وجربعيره خلفه وهو يضحك تارة ويقفز تارة أخرى وزوجته تراقبه في دهشة حتى أخفاه الظلام

لم يرق لزوجته حاله فقالت: ماذا يحدث لي؟ كيف أتركه؟

-يجب أن أبلغ كبير العائلة.

استيقظ كبير العائلة من النوم على صياح زوجة (رباح) وخرج ومعه ابنه البكر.

كبير العائلة: ما بك؟!...خيرًا ؟

-إن (رباح) خرج من المنزل واتجه إلى الصحراء وهو يهذي لقد جُن زوجي أرجوك أفعَل شيئًا.

كبير العائلة: ماذا (رباح)؟ لا أصدق ماذا جرى له؟!!

لقد هربت أخته (سلمى) مع الغريب ليلة البارحة.

كبير العائلة: أخته هربت مع الغريب...فعلتها الفاسقة يا سواد وجوهنا ماذا ستقول علينا القبائل الأخرى؟

ما لنا و للعائلات الأخرى أقول زوجي قد جُن أرجوكم أفعَلوا شيئًا، أبحثوا عنه أرجعوه إلينا إنه نورنا في هذا الظلام لقد عانى كثيرًا إنه قد جُن آه لو رأيتموه...خرج من الواحة يرقص ويغني.

بكر: لو كنت تحبينه حقيقة أتركه إن الجنون لرجل مثل (رباح) رحمة... هيا يا أختاه أرجعي لدارك... ودعي الأمر لنا.

كبير العائلة: ماذا تقصد برحمة له؟

بكر: لا أعلم.

كبير العائلة: أظنك جنت مثله.

بكر: أتمنى أن يحدث ذلك.

تناقل أهل الواحة خبر هروب (سلمى) مع الغريب، وما حدث لأخيها..

لينقسم أهل الواحة إلى قسمين :-

فمنهم من تعاطف مع رباح وأخته معتبرين ما حدث شيء طبيعي فالضيق يولد الانفجار، وآخرون فرحوا بهذه القصة واعتبروها طوق نجاة... فهي تهون عليهم وتسكت بعض الألسن و تخفي سقطاتهم... ليصبح ما كان عظيمًا في العيون حقيرًا أمام هذه القصة... ولقد ضاق كبير العائلة ذرعًا بما يسمع...

فالناس أمامه ما بين مؤيد ومنكر لهذا الأمر... وهو يعلم أن من أنكروا لا يمكن الوثوق بهم، ويعلم أن إنكارهم ليس إلا لإخفاء عيوبهم..
لذا قرر منع زيارة عائلة (رباح) و التعامل معهم..

وكان أول الساخطين (ساهر) زوج (هند) الذي منع زوجته من زيارة أمها، رغم حاجتها لوالدتها فهي في شهرها الأخير من الحمل وهذا أول حملا لها... ولكنه منعها وهددها بالضرب، إذا خرجت قائلًا لها: إن أمك ومنزلها غير طاهر وهو بؤرة خبيثة وموقع دنس ليس فيه شرف.

فردت عليه (هند) قائلة: ماذا تقول تصف أهلي بالدنس وقلة الشرف ومن تكون لتتحدث عن الشرف ما فعلته أختي كان واضحًا علم به الجميع... لم يخفه ليل ولا خداع....

أتظن أنني لا أعرف مغامراتك؟ أتعلم لماذا لا أحدثك عنها؟
أتعرف لماذا؟

-لأنني أكرهك، وأحب أي شيء يشغلك عني، أنت وأمثالك بؤرة الخبث أنت وأمثالك لا تعرفون الشرف.

وما أن انتهت من حديثها حتى لطمها على وجهها وأخذ يركلها بقدميه ويردد: أتصرخين في وجهي يا فاسقة يا أخت وابنة الفاسقة..

إنني سوف احتفظ بك حتى آخذ جنيني الطاهر منك ثم أعيدك إلى حيث تنتمين... وذهب عنها

مضت الأيام و(هند) تعاني آلام الحمل وزوجها يمنعها من الذهاب إلى والدتها، وفي أحد الأيام وعند عودة زوجها قرب الفجر وجدها تتألم وتصرخ وتستغيث فأسرع واستدعى أمه على عجل....

وعندما وصلت والدته وجدت (هند) في حالة يرثى لها وقد وضعت الجنين وهو محجوز بين فخذيها بالكاد يسمع صراخه.... فصاحت في وجه ابنها:

كيف تتركها هكذا؟! للنشر الإلكتروني

اذهب وإحضار ماء ساخن واجلب لي بعض الأعشاب والخرق لإيقاف نزيفها...

وأسرعت هي ومزقت الجزء الأسفل من فستان (هند)...

لتخرج الجنين المسرب بالدماء من حظه وهو يصرخ بحدة...
نظرت أم ساهر إلى المولود فصاحت: أهلاً ومرحباً بك حبيبتي في
دارك والتفتت إلى (هند) وقالت: مباركاً لك إنها جميلة كأمها
و قامت بتنظيف (هند) و ابنتها و أحضرتها بجانب أمها وقالت: و
الآن سأغادرِك لأصنع لكي شيء تأكله....
و عند خروجها قابلت ابنتها فقالت له: لقد رزقت بابنة..
فقال لها: فتاة؟!

الأم: نعم فتاة جميلة مباركاً عليكما.

الابن: فتاة و مِن مَن ؟!.

قال هذه العبارة ثم خرج.

نظرت (هند) لابنتها وقالت: لن أترككِ في هذا الجحيم.... يجب أن
تعيش حياة غير تلك الحياة.. الجو فاسد هنا لن أترككِ كي تتعذبين
وقامت وهي تترنح في مشيتها وحملت ابنتها وخرجت من
منزلها... استمرت في المشي... تترنح... تتعثر... تسقط... تقوم من

عثرتها حتى خرجت إلى الصحراء ووضعت ابنتها على الأرض ثم قامت بحفر حفرة صغيرة، وجوفتها من العمق وعند انتهائها جلست والعرق يتصبب من وجهها والدماء تنزف منها...سمعت الطفلة تبكي فالتفت إليها وقالت: تبكين...آلمك وهج شمس الصحراء سوف أخفيك عنها للأبد لن تنل منك بعد اليوم أبدًا

وقامت بإرضاعها ونظرت إليها مبتسمة وقالت: الآن يا بنتي العزيزة ستعودين من حيث أتيت إلى دار لا يأمرك ولا يهينك فيها أحد...فهي الأصح لك وقبلتها ووضعتها في الحفرة وبدأت تهيل عليها التراب والبنت تصرخ ويعلوا صراخها وهي تضحك تارة وتبكي تارة أخرى وتردد: لن أسمح لأحد أن يبكيك ولن أسمح لك بالبقاء سوف أسكت هذا البكاء سوف أسكته لتنعمي بالهدوء سوف تنعمين بالهدوء الأبدي....حتى سكت صوت الرضيعة، عندها صرخت (هند) صرخة مدويه هزت الأرض وملأت الصحراء صاحبها عويل كعويل الذئاب وقامت بكشف رأسها وأخذت تحثو بكتا يداها التراب تارة نحو الواحة وأخرى على نفسها....

عادت أم ساهر حاملة الطعام الذي أعدته (لهند) و تفاجأت بعدم وجودها هي أو طفلتها...فأسرعت و أيقظت ابنها و أخبرته باختفاء زوجته وطفلتهما فخرج الزوج على أثرها متتبعا خطاها...تتبعه أمه و أخته و هن يصرخن ويولون وقام أهل القرية على هذا الصراخ وخرجوا خلفهم يبحثون

عن (هند)....كانت الخطوات واضحة جلية فهي مقرونة بنقاط دم (هند)

قادتهم هذه العلامات إلى خارج الواحة حيث الصحراء و ما هي إلا لحظات وإذا بهم يسمعون صراخ (هند) فاتجهوا مسرعين إلى مصدر الصوت.

و إذا بهم أمام (هند) واقفة كاشفة الرأس يهتز وينتفض كل جزء من جسمها النحيل والدماء تغطي الجزء السفلي من جسدها..

تصرخ و تشير إلى كومة الرمل و هي تردد بصوت حزين:

إنها نائمة...إنها هادئة لقد قتلتها لقد قتلتها لقد قتلت ابنتي لقد قتلتها لتعيش حياة هنيئة...فتقدم زوجها إليها قائلاً: ماذا

فعلت؟! ماذا تقولين؟! أيتها المجنونة... لقد قتلت ابنتي ومد يده لضربها ولكن (بكر) تدخل وأمسك يده ودفعه... وقال له: أقسم لو اقتربت منها سأقطع عنقك... وأتجه إلى (هند) ووقفا بجانبها...

وهي تنظر إليه و تردد: لقد قتلتها لقد قتلت ابنتي.

ساهر: ماذا أتوقع من امرأة أختها عاهرة من بيت خلا منه الشرف... لقد دنست اسمي و قتلت ابنتي... فأمثالك يجب أن يحرقوا و تطهر هذه الواحة منهم.

بكر: ماذا أسمع... تتكلم عن الشرف... متى تعلمت الشرف؟!

وما هي علاقتك به؟!.. سهر بالليل و نوم بالنهار إن النور لم يرو وجهك يوماً... إن الليل شاهد على شرفك.

كبير العائلة: أصمت يا ولد... أصمت.

بكر: لا لن أصمت بعد اليوم إننا جميعاً نشترك في قتل هذه الطفلة و في قتل كل أنثى.. ولماذا؟!

لأننا نخاف عليهن و السبب هو الشرف...تتكلمون عن الشرف إن ما فعلتموه بنسائكم هو قتل للشرف، فالخوف و التسلط هو قتل للشرف

لقد أسكتكم أصواتهن لقد أنكرتم حاجاتهن

و تجاهلتموها، إن النتائج واضحة ولكننا لا نراها لأننا لا نريد أن نراها فهي توضح عجزنا وجهلنا، إن تصرف (هند) و (سلمى) يظهر مدى غبائنا و نظرتنا الغير منطقيه للشرف..

نعم لن أقول أن تصرفهما صحيح ولكن كان ذلك هو الحل الوحيد أمام هذه العقول التي أصبحت كصوان لا تسمح بزيادة أو نقصان

فالأولى لم ترد أن ترمي ابنتها في النار بيديها وهي تستطيع فعل أي شيء غير ذلك والأخرى هربت مع من تحب و رفضت أن تكون ضحية كالأخريات...إن التاريخ يعلمني أن الشرف لا يفرض بل يوجد في نفس الشخص يستلهمه الإنسان ممن حوله و المرأة هي الأكثر استلهاً له، فقد ذكر لنا التاريخ أن امرأة اشتهرت بالشعر مات أخ لها من أبيها ثم مات شقيقها وزوجها وأبنائها الثلاثة و لكن حزنها

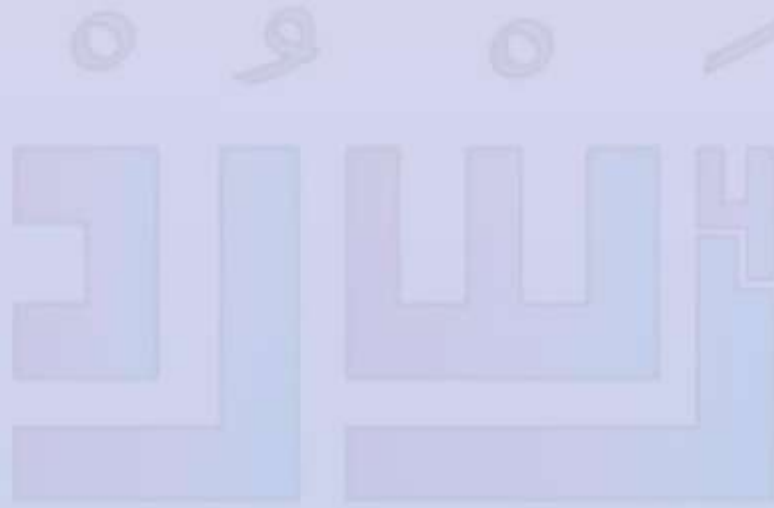
على أخيها غير الشقيق فاق حزنها على أولئك الخمسة...أتعلمون لماذا؟!..لأنه أكرمها.

لقد كان بعض العظماء عندما يمر عليه أمر جلل يقف ويصيح متباهيا باسم أخته فهذه المواقف وأمثالها أخرجت نساء عظيمات...أتعلمون أن إحداهن وقفت أمام الجمع و قالت: أتزني الحرة و أخرى يأتيها ابنها و هو مهدد بالقتل ويخبرها أنه لا يخاف القتل ولكن يخاف أن يمثل به أتعلمون ماذا قالت له والدته؟!..لقد اخترت طريقًا فأكملة فلا يضر الشاة سلخها بعد الذبح..

إنهن يملكن الشرف و يصدرنه للآخرين..

التاريخ يخبرنا أن المرأة تختار زوجها ولا عيب أن المرأة إنسان مثلنا جميعًا نحن الرجال فهي تحب وتكره، ترفض وتقبل لها عقل وفكر، إن تجاهلنا لهذه الأمور وقمعهن هو الذي يجعلهن عرضة للضياع فهن كريشة نزعت من طائر يلعب بها الهواء ويسوقها التيار الأقوى، فالطائر هو العقل والريشة هي الجسد، إن نساءكم ريشات لا حول لهن و لا قوة عرضة للانحراف و بنسمة ضعيفة من الهواء...و إنني

ومنذ هذه اللحظة لن أكون فردًا منكم و لن تسيرني أحكامكم وليغفر
الله لي و لكم. ومد يده إلى (هند) وأخذها إلى دار والدتها.



ASRUD

للنشر الإلكتروني

لعنة بهية

لدى إجازة، وبسبب كورونا فكرت في التجول في ربوع بلادي، فأخذت أفكر وأفكر، وأنا أداعب شعرات ذقني وأنظر إلى الفراغ، إلى أين أرحل؟!

تجوّل السؤال في رأسي فجأة خَرَجَتِ الإجابة: "خير".

تذكرتُ أحد أصدقائي يعمل مدرسًا هناك.

توكلت على الله، صعدت سيارتي وأدّرت المحرك، دقائق وإذا بي على طريق المدينة السريع.

وبعد أن قطعت 170 كيلومترًا تقريبًا وتجاوزت مستورة بعشرة كيلومترات، وإذا بي أَلَمَحُ شبح شابٍ على جانب الطريق وسط الظلام يشير إليّ.

توقفت ثواني، وإذا بي وجهًا لوجه أمام شابٍّ مخيف، في العشرين من عمره، فتح الباب دون كلمة سلام وصعد السيارة.

وبمجرد جلوسه بجواري، قال: أتعلم أنني كنت واقفاً على جانب الطريق منذ ثلاث ساعات، تكسرت يدي وأنا أشير! ولكن لم يتوقف أحد؟ أو حتى يسأل؟

ماذا حدث للناس في هذا الزمان؟!

طاف بنظره وكأنه يبحث عن شيء، وقال: أعرفك بنفسي: أنا عمّار النحال، فأنا من قوم يجنون العسل و يرعون ذبابه.

نظرت إليه بريبة، و قلت بعد تردد: أهلاً وسهلاً، وتحركت.

ابتسم وقال: أهلاً وسهلاً! أعتقد أنها جملة ترحيبية تستخدم عند مدخل المحلات.

في تلك اللحظة، حقيقةً فكرت بإيقاف السيارة وطرده، لكن أعتقد أنه شعر بغضبي، فبادرني قائلاً: أعذرني فأنا كنت مسجوناً في قريتي منذ ولادتي حتى أصبح عمري عشرين عاماً، وها أنا أخرج إلى العالم، أتحب أن أخبرك بقصتي؟!

فابتسمت ابتسامة مصطنعة، و قلت: تفضل.

فقال: إذن، سأبدأ حكايتي، ولكن قبل البدء،

فقاطعته قائلًا: عذرًا، إلى أين أنت ذاهب؟

صاح فيّ وقال: من البداية قاطعتني؟ على كل حال أنا ذاهب حيث أنت ذاهب، الأهم من ذلك إذا وصلت محطتك سأترجل من مركبتك و لن ترى وجهي، جيد؟ وعودة إلى قصتي أو الفصل الأول لها، ستلاحظ ذكر مبالغ فيه لاسم هلال ابن عمي.

إن اسمه يستحق ذلك، فابن عمي هذا هو صديقي الوحيد، الذي كان السبب بعد الله في إنقاذي من حالة الوحشة ورحلة الضياع في صغري بسبب "ما قاله رجل أعمى، من كلام استوحاه من رجل آخر أصم أبكم".

فبرغم أن سكان القرية ينظرون إلى ابن عمي أنه مخبول، إلا إنهم لا ينكرون أنه مميز.

إنني معجب به، فقد أوجد لنفسه طريقًا آخر، ومهنة مختلفة تُدر عليه المال الوفير.

نعم، أعلم أنه مصاب في عقله، لديه اضطراب في شخصيته، لكن كنت مقتنعًا أن هذا الاضطراب نتاج التناقضات التي يراها هو فقط. فكثيرًا ما كان يثرثر أمامي، بكلام غريب، مزيج بين الفلسفة والجنون، وسأسمعك شيئًا من كلامه.

"في قريتنا الناس يتعاملون بلطف مع بعضهم، إنهم ملائكة تمشي على الأرض".

فلم أذكر أنني مشيت في قريتنا ليلاً أو نهارًا ورأيت معركة تدور رحاها، حيثما تلتفت لا تجد سوى أناسٍ ودودين يبتسمون، هذا الأمر لا يبدو لي مألوفًا، ليس من السهل على شخص مثلي تصديق ذلك، إذ كيف يمكن للمرء في هذه الحياة أن يعيش بلا صراع، إن قومنا أناسٌ يعيشون خلف أقنعة، إنك لا ترى وجوههم.

إن كثيرًا من أنماط عيش سكان قريتنا قائم على أساس بناء الأجداد، إن التطور تجوّل في شوارع وأزقة الكرة الأرضية كافة وتوقف عند حدود وادينا، لعلمه أنه لن يستطيع التغيير، أو حتى لديه القدرة أن يحدث فيه شرخًا.

هل فهمت شيئاً من كلامه؟ إنه يرى أشياء لا نراها نحن!.

مثال على ذلك: إن قومنا أناس ودودونَ يبتسمون، وإنهم يتعاملون بلطف مع بعضهم، إنهم ملائكة تمشي على الأرض.

هذا كلام مردود عليه، ففي كل يوم يشهد أهل القرية منازعات تبدأ بشتائم، وتتوسط برفع الأيدي إلى عنان السماء، وتنتهي بإراقة الدماء.

وإن: "التطور تجوّل في شوارع وأزقة الكرة الأرضية وتوقف عند حدود قريتنا، لعلمه أنه لن يستطيع التغيير أو حتى لديه القدرة أن يحدث فيه شرخاً" كلامه هذا هراء.

ها أنا أحد سكان القرية، وكما ترى أحمل في يدي هاتفي المحمول، و أرتدي أرقى الماركات العالمية من رأسي حتى أخمص قدمي.

فالحذاء التي أنتعلها وسروال الجينز الذي أرتديه، إضافة للتيشيرت الذي ألبسه، أوه كدت أنسى، ونظارة بورش ديزاين التي تحجب عيني العسليتين وتحميهما من لهيب الشمس، جميعها من إنتاج أشهر وأرقى الماركات العالمية، رغم أنني لم أغادر القرية منذ ولادتي.

قد تستغرب وتساءل متعجبًا: هل يوجد مولات في قريتنا؟!
بالطبع لا.

لا يوجد في قريتنا سوى وادٍ طويل متعرج يشق الجبال، تحيط به
أشجار السمر والسرّح، إنه المكان أو المول الذي نتسكع فيه نحن
الشباب، ونسميه (سمر آند سرّح مول).

أعلم أن ابن عمي يشعر بالظلم، فأهل القرية لم يتركوه وشأنه، خاصة
بعد أن قضى ستة أعوام في الغرب وعاد من دون شهادة، وزاد الوضع
سوءًا إحضاره كلبًا صغير الحجم، كثير الحركة، حاد الصوت "صاحب
أصل وفصل، من سلالة كلاب شيووا"، كما يقول ليغيط منتقديه.

وهنا لا يمكنني ظلم أهل قريتنا، خاصة أن أسلوب ابن عمي كان
متمردًا على أسلوب معيشتهم الذي ألفوه من أجدادهم، فأبأوه
الأولون لم يتخذوا كلبًا للزينة، ولم يعملوا في تربية الطيور.

على كل حال، ابن عمي لم يكتفِ يومًا عن محاولاته لإغوائي؛ كي
أكون في صفه.

رغم الفارق الكبير في العمر بيني و بينه، فهو ينظر إليّ على أنني صديقه الوحيد منذ صغري، لا أعلم لماذا؟!!

أهو بسبب تعاطفه معي؛ لعدم سماح أهل القرية بخروجه خارج حدود القرية؟

أم أنه فيّ شيء مميز يراه بعينه التي ترى ما لا يراه أهل القرية؟ نعم، إنني لا أقول هذا الكلام من باب الحشو، بل إن ابن عمي المسكين صعد جبلاً عاليًا حتى أصبح يرى ما لا نرى، ويسمع ما لا نسمع، وبسبب ذلك هو يشعر أنه غريب عن أهله وقومه؛ مما سبب له الخوف والقلق، لقد اكتشفت ذلك في أكثر من مناسبة.

قد تتساءل عن سبب هذه المقدمة الطويلة؟!!

معك الحق في ذلك، ولكن إذا عُرِف السبب بطل العجب.

فالسبب أن ابن عمي هذا طلب مني أن أكتب رواية، عدد صفحاتها لا تقل عن 160 صفحة عمّا حصل لي شخصيًا من أحداث عجيبة و غريبة لا يصدقها العاقل، خاصة في هذا الزمان.

حاولت الاعتذار منه، أخبرته أنني لم أقرأ في حياتي غير رواية واحدة وليس لدي تحصيل علمي غير شهادة الثانوية بتقدير مقبول.

لكن ابن عمي؛ الذي أجّله كثيراً وأحبه بجنون، لم يكثرث لما أقول. قلت له بغضب محاولاً إقناعه: أتريد أن أتكلم بهذه الطريقة: "كان يرتدي سترة رثة فوق جسد نحيل وينتعل حذاءً بالياً".

"كانت لحيته كثيفة غير مهذبة، كان لونها ذهبياً بسبب صبغة الحناء".

"كانت هناك شمعتان يتراقص ضوءهما في ركن الغرفة المزدحمة. "ما زلت أذكر ثوبها الأبيض، يحليه وشاح أزرق مطرز بزهور حمراء". "ألقت الشمس بأشعتها الذهبية على كروم العنب لتبدو وكأنها عناقيد من الزمرد".

"كان ضوء المصباح ينعكس على زجاج النافذة المبتلة من جراء المطر".

وبمجرد أن انتهيت، ابتسم ابتسامة عريضة، وقال: ها أنت تجيد كلام الروائيين.

فصرخت في وجهه: من أين لي بكلام كهذا؟!

إن بيئتي التي أعيش فيها خالية، ليس فيها شمعدان ولا كروم عنب، ونادرًا ما تزورها الأمطار، وأشعة شمسها حارقة، ومن العيب التطرق إلى أمور النساء.

من أين لي بكلام كهذا؟! وبيئتي لونها واحد، وشجرها يختفي خلف الكثبان، وتريد أن أكتب 160 صفحة؟؟

انفجر ابن عمي ضاحكًا، ونظر إليّ، وقال: 160 صفحة هي الحد الأدنى، تذكر ذلك.

وتابع حديثه: بإمكانك فعل ذلك بالتحليق بعيدًا عن بيئتك هذه، ما أريده منك الابتعاد عن هنا، اصنع عالمك بالخيال.

اسمعني: لقد قضيتَ عشرين عامًا سجينًا في هذه القرية، إنها تجربة طويلة، إنها عمر بحاله، لو خرجت من كل يوم قضيتَه من تجربتك

المرة بجملة واحدة سيصبح عندك كتاب بثلاثمائة وخمسة وأربعين صفحة.

اكتب، افعل ذلك من أجل نفسك كي تخرج بسلام من ماضيك إلى مستقبلك، ليس المهم أن يقرأ الناس ما كتبت، لقد قال امرؤ القيس الشعر قبل 1600 عام وهو الملك، لم يكن في حاجة أن يسمعه أحد أو يمدحه الناس، فعل ذلك لأن الله خلقه وابتلاه كي يغرد ويسمع من حوله.

غرد، اشد، سيسمعك أحد ما في يوم ما.

وهنا سأتوقف لناخذ استراحة، وأخذ ينشد بعضًا من شعر كثير عزة ويتمايل لا يعرف الحزن إلا كل من عشقا وليس من قال إني عاشق صدقا للعاشقين نحول يُعرفون به من طول ما حالفوا الأحزان والأرقاء.

أخذت أنظر إليه بحذر، لكنني في قرارة نفسي كنت أتمنى أن يتابع قصته، وحصل ما كنت أتمنى.

فجأة توقف عن الغناء وقال: تتذكر أنني وصلت إلى أن ابن عمي قال لي ناصحًا: اكتب قصتك، افعل ذلك من أجل نفسك كي تخرج بسلام من ماضيك إلى مستقبلك.

أقنعني ابن عمي بأسلوبه، فعلى الرغم من أن كلامه مبهم غريب، مزيج بين الفلسفة والجنون، إلا أنني كنت أشعر بالاسترخاء، أسبح بين أمواج صوته وأغرق في تأمل كلماته.

أعتقد أن السبب هو أن ابن عم -خلافًا لمن عرفت من البشر-

عندما يتكلم معي لا ينظر إليّ لذا ينتابني شعور بأنني غير مُراقب، فأنا أريدُ إلى حوضه متى أردت، وأنصرف عنه متى ما شئت.

المهم أنني عازمت أن أكتب رواية فقط من أجله، فأصبحت كل يوم أصعد جبلًا يشرف على قريتنا، أكتب من ست إلى عشر صفحات وأمزقها وأعود لمنزلي، بقيت على هذه الحال عشرة أيام، لم أستطع تجاوز إحدى عشرة صفحة، لقد أكملت قصتي في هذه الصفحات، وأتلفت ملزمتين، أقصد مزقت مائة وثمانين صفحة.

فأخذت أفكر متعجبًا كيف استطاع هؤلاء الروائيون كتابة رواية من قصة لو حكاها الإنسان لن تتجاوز صفحة أو صفحتين!!

على كل حال خطرت على بالي فكرة، وهو أن أنتظر حتى أخرج من القرية، أخرج من عالمي إلى عالم آخر، وأبني روايتي خطوة بخطوة، طوبة طوبة، لقد رسمت مخططًا لفعل ذلك، وهو أن أبدأ روايتها بلساني قبل قلمي، لا تسألني لماذا؟!!

فأنا نفسي لا أعلم، ولكن يُخيّل لي أنها هي الطريقة المثالية، قد يكون السبب هو أنني اكتشفت خلال محاولتي كتابة قصتي أنها معقدة، متشابكة، أنها تُسقى من روافد متعددة، وإن لم أَعُدْ إلى تلك الروافد وأبحث عن منابعها الرئيسية لن تكتمل قصتي، والأهم من ذلك لن تكون لها روحٌ كما يقول ابن عمي.

لذا سأعرض لك تاريخ قريتنا: ففي حقيقة الأمر لم تكن هذه القرية التي نساكنها الآن هي أرض الأجداد القدماء، بل أجدادنا القدماء لا نعلم عنهم شيئًا.

هل كانوا يسكنون في الشمال أم الجنوب أم الشرق أو الغرب؟ لا نعلم، وكل ما وصل إلينا أن جدنا الذي سكن هذه القرية جاء وهو لم يتجاوز الأعوام الثلاثة من عمره مع رجل غريب قبل ثلاثمائة وستين عامًا إلى هنا.

كان يصطحب هذا الرجل معه إضافة إلى جدي زوجته وطفلة لم تتجاوز السنتين، لم تكن هذه الطفلة ابنته، فالرجل كان عقيمًا، كانت ابنة زوجته من رجل آخر.

وجُلُّ ما عرفه جدي عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره من ذلك الرجل، أن جماعة أحضروا مجموعة من الأطفال، كان هو أحدهم، إلى سوق إحدى القرى وقالوا: إنهم وجدوهم يبكون في الصحراء. ومن المحتمل أن أهلهم أُبيدوا في غزو إحدى القبائل.

على كل حال قام هذا الرجل بتبني جدي، وسماه ب (بدران) (وعندما بلغ سن السادسة عشرة زوجه ابنة زوجته، أقصد جدتنا "سالمة").

والغريب في الأمر أننا لا نعرف لهذا الرجل أو زوجته نسباً أو اسم قبيلة، كل ما وصل إلينا أنه كان يمتهن جَنِيَّ العسل، ومن هنا نلاحظ أن الرافد الذي جاء منه جدي وجدتي منقطع مجهول المنبع.

ورث جدي من ذلك الرجل مهنة جني العسل، وبمساعدة جدتي أصبح لديهما نشاطات أخرى وهي الرعي والاحتطاب.

وكان لهذا الرجل -أقصد "جدي"- ثلاثة أبناء وسبع بنات، فورث أبناؤه النشاطات الثلاثة أو المهن الثلاث لوالديهم لتصبح حرفاً لهم. بينما تفرق بناته وأصبحن زوجات، منهن من سكنت قريباً، ومنهن من تزوجت رجالاً ألفوا التنقل في الصحراء.

لذا بعد موت الأب أصبح لكل فرد من أولاده تخصص في نوع من العمل، ومع مرور الزمن أصبح للأولاد أولاد، ومع مرور الأيام خرجت العوائل الثلاث.

وظلت كل عائلة متمسكة بمهنة أبيها، فالبعض يعمل في رعي الماعز والضأن، وعائلة تعمل في الاحتطاب، وعائلة تعمل في جني العسل أو كما يردد أهل القرية يرعون ذباب العسل.

أما بالنسبة لأولادهم الذين لم تكن لهم رغبة في العمل بمهن آبائهم، فكانوا يكملون الثانوية في مدرسة القرية الوحيدة، ثم يذهبون إلى المدن للعمل أو تكملة دراستهم الجامعية.

وبما أنني أتكلم عن تاريخ القرية فيجب علي ألا أتجاهل حدثين مرّا على أهل القرية، كان لهما تأثير في مجرى قصتي ولا يمكن لي أن أتجاوزهما.

أولهما يوم بهية قيل: إنه في عام 1850م وُلدت (رزق) (الراعي ابنة فائقة الجمال، من ابنة خاله سعدة النحال، سمّاها (بهية)، وعندما بلغت السنة من عمرها مات أبوها فجأة، فلم يكن يشكو من علة، فقد كان بصحة جيدة.

صَدَمَتْ وفاته زوجته ولم تتحمل أن تعيش الحياة من دونه، وقبل أن ينقضي آخر يوم لعزائه وجدّها أهل القرية ميتة بالقرب من قبره. ترعرعت المسكينة بهية في منزل خالها، لتشارك ابنة خالها هند الرضاعة.

كبرت هند وبهية وكانتا من أجمل فتيات القرية، لكن بهية حظيت بدلال وتعاطف أهل القرية.

وهذا ما أشعل نيران الغيرة في صدر ابنة خالها هند، المعروفة بحدة مزاجها وأنانيتها وطموحها وقوة إرادتها، لم تتحمل هند أن تعيش في دارها وصيفة لا تراها العيون بسبب بهية.

فقررت أن تكيد لها المكائد، وذلك بتسريب الشائعات عن طريق أكثر من لسان مريض حقود بأنها مصدر للشر، فكما قتلت أبويها تسببت بأكثر من مشكلة لخالها ولجميع أهل داره، وأن شرها وصل إلى الجيران، فما دخلت بيتًا إلا وسقط فيه مريض، وما نظرت بعينيها لشخص إلا أصابته عاهة.

حتى سموها: (صويحبة الشر)؛ لتنطلق ألسنُ أخرى محبة للكلام، مرددة بجهل ومن دون بحث أو روية: من خرجت لدنيا وأحرقت والديها لا تستحق اسم بهية، إنها جنية ليست بإنسية.

كان هذا الكلام مؤلمًا لبهية، خاصة عندما رأت العيون التي كانت بحبّ تتعاطف معها، تتحاشى النظر إليها، وعندما خُطبت هند، ومن

كان في سنها ويوم زواجهن واحتفال أهل القرية بهن وعندما رأت
ثمار زواج صويحباتها يظهر على بطونهن، كل هذه الأحداث المتتالية
أخبرت بهية أنها أصبحت الشاة السوداء في القطيع الأبيض.

فأخذت تحفر بهدوء قبرها.

ففي صباح يوم عاصف، كان البرق يخترق السماء، والرعد يدوي،
والمطر ينهمر بعنف، خرج أهل القرية من منازلهم عندما سمعوا
صراخًا حادًا يخترق آذانهم، وإذ بهم يرون بهية فوق رأس شجرة
(سمر) تحيط بها الأغصان وقد أدمتها الأشواك، رافعة يدها إلى
السماء تردد: يا رب، يا من عرشه في السماء وعلى الماء، يا من لغضب
ابتليت ولحب ابتليت.

اللهم أنت الملك لا اعتراض.

اللهم اعم عيوننا لم تر.

اللهم صم آذاننا لم تسمع.

حاول خال بهية وأهلها وسكان القرية، وخاصة من كان مساهمًا في
فصل من فصول مأساتها، أن يسكت صوتها.

فصوتها الذي لا يتوقف لم تتحملة آذانهم، كان كأنه مطارق تهوي على رؤوسهم.

لكن جميع محاولاتهم من الصباح حتى غروب الشمس باءت بالفشل، فما زال صوتها الذي يشاركه عويل يتردد صداه في القرية، لم يستطع أحد الاقتراب منها بسبب الأغصان المليئة بالأشواك، إضافة لهيجناها، فقد أصبحت كأنثى حيوان مفترس تدافع عن جرائها.

أخيرًا، قرر شيخ القرية أن يكسر جذع الشجرة، فسقطت الشجرة كجبل هز الأرض تحت أقدام أهل القرية مما سبب لهم الهلع.

فتوقفوا صامتين مفزوعين يتأملون ماذا حدث وما الذي حصل؟!.

كانوا موقنين أن هذه الهزة ليست بسبب الشجرة، فهناك سبب آخر علمه من علمه وجهله من جهله.

لكن الشباب الطيبين من نسوة ورجال سارعوا إلى قص الأغصان حتى نزفت أيديهم وتسربت بالدماء، لكن الوقت قد فات، فقد فارقت بهية الحياة.

وفي صباح اليوم التالي، توارت بهية تحت التراب، لكن صوتها ظل باقيًا يسمعه أهل القرية مع هزيز الريح؛ التي تتجول في الطرقات وتهز الشبابيك والأبواب، ومع خريز الماء المنحدر من سفوح الجبال، ومع حفيف أشجار السرح والسمر.

وقد زاد الأمر سوءًا عندما عمّ مرض غريب أرجاء القرية.

قال بعض العارفين: إن علت أشواك شجرة السمر التي ماتت وجفت أغصانها وتخلت على غير العادة عن أشواكها وتركته ترعى في طرقات القرية بعد هذه الحادثة بأيام.

الحادثة الأخرى هي سنة الخوف:

في عام 1957م، عمّ القرية مرض الجدري، الذي انتقل إلى القرية مع بعض الحجاج العائدين من الحج، فاجتاح القرية ليصاب بهذا الداء الكثير من سكان الوادي، وكان علي النحال وزوجته وابناهما التوأمان حمد وحماد من ضحاياه.

مات علي وزوجته سارة، ونجا ابناهما من هذا الوباء، لكنه لم يتركهما سليمين، بل أعمى أحدهما وأصم الآخر وربط لسانه، فلم يعد يستطيع الكلام.

في ذلك الزمان، ألف أهل القرية ومن حولها أن يغيروا كل اسم نجا من الجائحة باسم آخر، وفي ذلك اليوم -يوم تغيير أسماء من نجا من الجدري من سكان القرية- ذبحت الذبائح وأخذ القوم يتوافدون إلى منزل الشيخ وبرفقتهم من نجا من ذلك الداء، فتم في ذلك اليوم تغيير اسم ربيعة إلى رحمة، ومنى إلى سعيدة، وشداد إلى سلمان، ورباح إلى سعيد، وهكذا حتى وصلوا إلى الأخوين حمد وحماد.

فقام أحد المخمورين السكارى وقال متهمًا: سموهما أبو عنين وأبو أذنين، فضحك الجهلاء.

حاول العقلاء تدارك الأمر، لكن حمد وحماد أصرا أن يحملوا هذين الاسمين؛ لعلمهما أن هذين الاسمين جاءا من مخبول، فلم يكونا يريدان أن يغيرا اسمين اختارهما لهما أبواهما.

لكن ذهب الرياح بما لا تشتهي السفن، فالناس ألفت الأسمين
الذين أشار إليهما المخبول، ونسوا اسمهما الحقيقي.

وهنا حدثت مشكلة، عندما تذكر أحد السيئين قصة بهية
ودعائها "اللهم أنت الملك، لا اعتراض، اللهم اعم عيوناً لم تر، اللهم
صم آذاناً لم تسمع".

وحاول أن يربطها بما حصل لحمد وحماد، خاصة أن هند هي جدتهما
لوالدهما، فقال لمن حوله: إن ما أصاب هذين الشابين لم يكن بسبب
الجدري بل بسبب لعنة بهية.

تردد صدى هذا الكلام في القرية ووصل إلى حمد وحماد، فغضبا،
فلم يكونا راضيين بأن تذكر جدتهما بسوء من أبناء عمومتهما، وأن
يتطرقوا لقصة حدثت قبل 100 عام.

لذا هجرا القرية واتخذا الجبال مسكناً لهما، وأصبحا لا يأتیان إلى
القرية إلا في نهاية الأسبوع ببضاعتهم من العسل ويتركونه عند
جدهم ويغادرون.

مرت الأيام، وتدخل القدر ليرسم طريقًا يجعل سكان القرية جميعهم- طيبهم وسيئهم- يقفون باحترام لهذين الشابين.

ففي أحد الأيام وقبل أن يعلو النهار، وتعلو الشمس الهضاب، تصاعد صراخ طفل لدغته حية في يده، وبدأ السم يسري في جسمه، عمل أهله ما عليهم من مص السم، وأخذوه بسرعة لحكيم القرية، حاول حكيم القرية ولكن السم انتشر، وأخذت اليد بالتورم، فقرر الحكيم بتر اليد في محاولة يائسة لإنقاذ الطفل.

فجأة ظهر أبوعينين وأخوه، ونزعا الطفل من يد الحكيم، وأخذ يتمتم أبو أذنين ويرتفع صوت أبوعينين بتلاوة بعض الآيات، فأخذ الورم تدريجيًا بالاختفاء، وعادت اليد إلى طبيعتها، وقام الطفل من مكانه يعدو إلى أحضان أبيه الذي كان يبكي في حرقة؛ خوفًا من فقدان طفله إلى الأبد، لم تكن هذه القصة كافية لتنسي أهل القرية لعنة الجدة، بل جاءت أحداث أخرى متتابعة.

لكن ضربتهم القوة وبشارتهم التي رفعت أسهم مصداقيتهم على طول الوادي وعرضه هي بشارتهم بعودة (فهاد) الذي كان غائبًا عن القرية لأربعين عامًا، وحدث ما تنبؤوا به.

فبينما كانت الشمس تغرق في الأفق، لاحت مركبة منحدرًا مع الوادي وتوقفت عند منزل أبي فهاد وخرجت منها أشباح لأناس.

فتحت بعض الأبواب وبعض النوافذ، وهي تبحث عن معرفة زائر الظلام، فمن غير عادة أهل القرى، بل أهل الصحراء أن يقبل عليهم زائر في المساء، فُركت العيون بقوة لتبين من هم، لكن تلك الأشباح دخلت مسرعة للدار.

أخيرًا جاء من يبشر تلك العيون، وهو يلهث من شدة الركض، وقال: إنه فهاد وزوجته يرافقهما أبنائهم الخمسة.

عندها نسي سكان القرية تلك اللعنة إلى الأبد خوفًا، لقد نظروا لهما على أنهما رجلان صالحان.

فهما يعالجان من لدغته حية أو من لسعة عقرب، وهما من يدلان على مكان من ضاعت له ماعز أو ضأن، ومن سرى بعيه وتاه في الظلام.

وهما من بشرًا بمولود جديد وعن قدوم زائر للقرية غريب.

نعم لم تكن جميع تنبؤاتهم صحيحة مئة في المئة، لكن توقعاتهم التي أخطأت طريقها ولم تظهر على سطح الحقيقة غض أهل القرية عنها النظر، بل قدموا لها التعليل والأعذار، وما كتبه القدر فقط يغيره القدر.

لكن ما قاله لأبي من كلام كان شيئًا آخر، تسبب في سجنه وأرهق عقول أهل القرية، فالكل أصبح به مفتونًا، الكل يحلل وبطريقته يفسر، الكل من دون استثناء؛ رجالًا ونساءً شيبًا وشبابًا.

ففي أحد الأيام، وهذا الكلام منقول عن أمي، حيث قالت: قبل مولدك بأربعة أعوام، غادر أبوك المنزل ضائقة أنفاسه بعد ولادتي الثانية بأختك بدرية.

لم يكن أبوك كارهاً أو معترضاً على ما وهبه الله، بل كان يتمنى أن يرزقه الله بولد يعينه، فأنت كما تعلم أن العمل في مهنة العسل شاق ومتعب.

على كل حال، صعد أبوك إلى سيارته وخرج إلى عمله حزيناً. فجأة في وسط الطريق، ظهر له أبوعينين الأعمى يرافقه أخوه أبو أذنين الأصم الأبكم.

استوقفاه، تمتم الأبكم وتكلم الأعمى، أقصد أبا عينين، وطلب من أبيك جالون العسل - وكان من عادة أبيك وأنت تعرف ذلك أنه لا يخرج إلى أي مكان من دون أن يحمل معه جالون العسل، فهو أحد مكونات غذائه وسكره الذي يحلي به فقام أبوك بإعطاء الجالون لأبي عينين؛ الذي أخذه ومرره لأخيه أبي الأذنين فتح الأذنين غطاء الجالون وأنزله الأرض ومدّ أصبعه وهو واقف.

هنا حدث شيء عجيب، أخذ العسل يخرج من فوهة الجالون على شكل خيط دقيق ويلتف حول أصبع أبي الأذنين.

فأخذ أبو الأذنين يتمتم بصوته المبهم، فقال الأعمى وهو يرتجف
بصوت خشن: وصل إلى مسامعنا أنك رزقت بأنثى! وسيتبعها ثلاث
أخريات، بعدها سترزق بولد، وبمجرد انتهاء الأعمى من هذه البشارة.
ارتفع صياح أبي أذنين، فالتفت أبو عنين إلى أبيك، وواصل حديثه
قائلًا بصوت غلف بتحذير: ذكر بعد إناث ثلاث سيطل.

ونجم من عتمة الليل سيهل.

يحمل على ظهره نجمه.

حذار أن يخرج الغلام خلف الأسوار، حتى يتم عشرين عامًا.

فالوادي هو أرضه وموطئ قدمه.

وواصلت أمي قائلة: منذ ذلك اليوم أنا وأبوك بل أهل القرية

جميعًا أصبحنا ننتظر قدومك.

خاصة أن المبشرات الأربع أخذت تتوافد أمام أعيننا، فقد جاءت

أختك هدى، وتبعها رقية، وجاءت أختك مها، وأخيرًا وصلت أنت يا

وجه السعد.

في ذلك اليوم، جاء أبو العينين وأبو الأذنين يجرون خلفهم خمسة أكباش سمان، نحروها أمام دارنا ووزعوا لحمها على أهل القرية.

والآن يا أستاذ أكرم سأتوقف وسأواصل حكايتي بعد أن نأخذ استراحة لمدة ربع ساعة، فقد جفّ حلقي من كثرة الكلام، مرت ربع الساعة كأنها يوم كامل، أخذت ألتفت إليه بين الحين والآخر مشجعاً إياه كي يعود لسرد قصته.

فجأة التفت إليّ، وقال: إنه الفصل الأخير من القصة، هل أنت جاهز؟؟

فقلت بفرح: نعم جاهز.

طاف بنظره كعاداته وتابع حديث: كان لهذه البشرية الوقع الكبير على أهل القرية، أحداث تتوالى أمام أعينهم، تنتهي بكلام مبهم خطير غلف بتحذير: كريم بعد إناث ثلاث سيطل.

ونجم من عتمة الليل سيهل.

يحمل على ظهره نجمه.

حذارِ أن يخرج الغلام خلف الأسوار، حتى يتم عشرين عامًا.
فالوادي هو أرضه وموطئ قدمه.

هذا التحذير أخاف أُمي وأبي، بل أزعج أهل القرية جميعًا، فأخذوا
يفكرون بعمق عن مغزى كلام أبي عنين وأخيه أبي أذنين، فهؤلاء
يتكلمون ولكن لا يجيبون ولو سُئلوا يغضبون.

المهم أن الجميع أخذوا يعدون الأيام، وأصبحت أنا محط الأنظار.
كنت حزينًا.

جميع أصدقائي يخرجون من القرية إلا أنا، كان الجميع ينظر لخروجي
أنه خطر على نفسي وعلى القرية وأهلها، كانت هذه فكرة الجميع،
ما عدا ابن عمي هلالًا الذي كان يهيج ويغضب عندما أرفض الخروج
معه، فيردد بانفعال: كم أنت مسكين!! لقد ضحك الأعمى والأبكم
الأصم على أبويك وعلى أهل القرية المغفلين.

ويتابع حديثه ساخرًا: يحبسونك في القرية عشرين عامًا؟ ولماذا؟! من
أجل كلام هذين المشعوذين؟؟ إنهما دجالان.

يا مغفل، العظماء لا يُسجنون، إنهم خلقوا كي يكونوا أحرارًا.
في حقيقة الأمر لم أكن أفهم ما كان يقصده ابن عمي بهذه الجملة
الأخيرة.

فكما يردد أهل القرية عنه بأنه "ببغاء يردد كلام الغرباء".
على كل حال، زاد الوضع سوءًا عندما بلغت الثامنة عشرة
بالتمام والكمال، يومها حضر أبو العينين وأخوه أبو الأذنين
بصحبة أعيان القرية إلى منزلنا فاستقبلهما أبي بحفاوة.
وبمجرد جلوسهما، قال شيخ القرية لأبي: إن أبا العينين وأخاه أبا
الأذنين لديهما طلب يريدان أن يحدثاك به بوجودنا.
فقال أبي: على الرحب والسعة.

فالتفت الشيخ إلى الأعمى والأصم: وتنحنح.
فقام أبو العينين وأخوه من مكانهما ووقفوا، وبعد لحظة صمتٍ قال
الأعمى بتلقين من الأبكم الأصم: لدينا ثلاثة طلبات، ونرجو أن توافق
عليها من دون مراجعة.
فقال أبي: طلبكما أمرٌ مطاع .

فقال الأعمى لأبي: نعم الرجل أنت.
طلبنا أن يتزوج عمار من بنت سعد الحطاب.
ثانيًا: أن يتم الزواج قبل نهاية الشهر بثلاثة أيام.
ثالثًا: مصاريف الزواج شاملة على حسابنا.
وبمجرد انتهائه التفت وأخذ يصرخ: أين عمار؟!
لم أكن بعيدًا عنه، فقد كنت أصب القهوة فقلت: لبيك.
فقال: مدّ يمينك إلى عمك أبي الأذنين، فمددت يدي اليمين
كما أمرني الأعمى لأخيه، فمسكني من معصمي وأخذ يتمتم.
فقال الأعمى موجهًا كلامه لي: يا بني لا أعتقد -والعلم عند علام
الغيوب سبحانه- أن نعيش أنا وأخي طويلًا.
يا بني لن يطل عليّ وعلى أخي هذا شهر من السنة القادمة، لذا
نريد أن نطلب منك طلبًا.
فقلت: جوابي هو مثل جواب أبي.
فقال: نعم الأب ونعم الابن، وتابع: طلبنا هذا أن تتقبل من الناس
العزاء يوم مماتنا.

فقلت أطل الله أعمار..... فقطاعني الأعمى بوضع يده على فمي،
والتفت إلى الشيخ وقال: الحاضر يعلم الغائب، إن جميع ما نملك
من حطام هذه الدنيا هو ورث لنسل عمار.

والآن إذا سمح لنا الشيخ وصاحب الدار بالمغادرة فإننا نطمع في
ذلك.

فقال الشيخ: معذورين، وتبعهما أبي قائلاً: البيت بيتكما، لكن ماذا
عن عشائنا؟ فقد نحرت الأكباش فرحًا بكما وبكبار قومنا؟؟
فقال الأعمى: فلتطعم أهل القرية ومن أراد البقاء، فأنا وأخي-لا
محالة-راحلان.

وبهذه الزيارة وما رافقها من كلام، عاد لأهل القرية الموضوع القديم
الجديد، وخرج أكثر من سؤال يحتاج لإجابة شافية.

لماذا تم اختيار بنت الخطاب لهذا الشرف؟!

لماذا حدد موعد الزواج بنهاية الشهر؟!

لماذا دفع الأعمى وأخوه مصاريف الزواج؟!

وكان السؤال الأخير: لماذا طلب الأعمى وأخوه أن أتقبل عزاءهما نيابة
عن أهلها؟!

فانشغلت مجالس القرية، واشترك في التخمين الجميع، حتى الأطفال.

المهم أنني تزوجت بنت الحطاب، ولم يمر على زواجنا شهر حتى ظهرت أعراض الحمل، وعرف سكان القرية به، وجاء الأعمى وأخوه فرحين يحملان الهدايا من عسل ومال وأنعام، وأخذ أهل القرية يعدون الأيام والشهور، وعندما بلغ الحمل شهره التاسع أصبح أهل القرية يعدون الأيام، بل الساعات، وفي ليلة معتمة ارتقت الزهرة فوق القمر وضعت زوجتي حملها فاكتشفنا أنهما توأمان، خرج الأول ذكرًا، والآخر كان أنثى.

وقبل أن تكتمل فرحتنا، وإذ بالباب يُطرق بعنف، فقامت وفتحت الباب، وإذا به شيخ القرية يخبرني بأن الأعمى والأبكم قد ماتا. فانشغلت بمراسم العزاء، وسُمي الولد كما طلب أهل القرية بنجم وأخته أيضًا-حسب طلب الجميع-بجندمة.

كانا طفلين جميلين من أجمل أطفال القرية، أخذت أرقبهما وهما يكبران شهرًا بعد شهر، وأنا أسأل نفسي وكذلك فعل جميع سكان القرية:

ماذا بعد؟!

ما قصة هذين الطفلين؟!

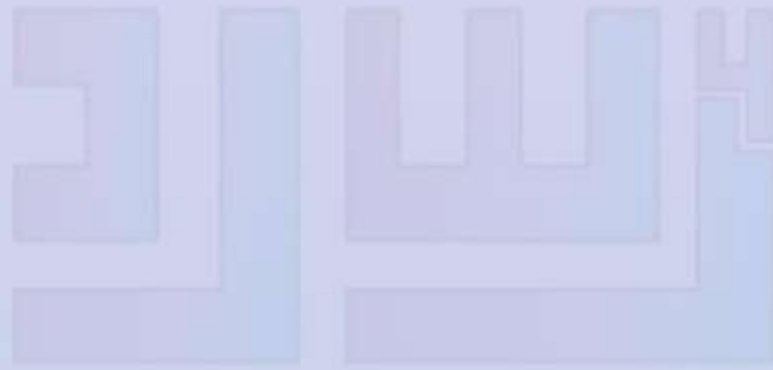
فهما البشارة التي بشر بها الأعمى وأخوه قبل أربعة وعشرين عامًا.
وبمجرد أن تجاوزت العشرين من عمري وتجهزت للرحيل من
القرية، يومها كنت فرحًا جدًّا، أردد أخيرًا أصبحت حرًّا، وبينما كنت
أجهز حقائبي، جاءت إليّ والدتي وخلفها والدّة زوجتي تبكيان،
فصرخت ماذا حصل؟!

هنا انهار الراوي، انهار عمار، وأخذ يجهش بالبكاء.
صُدمتُ، انحرفت وخرجت عن الطريق العام وأوقفت
السيارة، وسألته ماذا حصل؟!
أخبرني ماذا بك؟!

نظر إليّ عمار وقال بحزن: إن ابني نجم أعمى وأخته بكماء صماء.
لم أجد كلمة أو جملة أستطيع بها مواساته سوى العودة إلى الطريق
العام،

لم ينطق عمار بعدها ولو بكلمة واحدة، وعند أقرب محطة استأذن
مني وترجل من السيارة. وقفت في مكاني لمدة ساعة شارد الذهن
أراقبه حتى اختفى.

كنت أفكر هل ما حصل لعمار حقيقة، أم هي قصة من وحي خياله؟!



ASRUD

للنشر الإلكتروني

وادی الظل

و التي كان يخيفها الرعد والبرق بوضعها في "الزرب" و التي صنعت من الخشب والصفائح وقاموا بتغطية سقوفها بما لديهم من جلود وألواح الزنك، وجلسوا أخيراً يستمتعون بنزول المطر متعة عمت جميع حواسهم من العين حيث المشاهدة، والأنف يشم رائحة المطر عندما يتفاعل مع التربة "الدعاش"، والأذن حيث تسمع أصواتاً مختلفة لسقوط المطر، فكل ارتطام لحبة مطر على شيء له إيقاع خاص فهناك اختلاف في الأصوات الصادرة من حيث ارتطامها بالصفائح أو التربة أو الجلد أو الخشب... وكأنها تصمت بين الحين والآخر مع صوت الرعد الذي يطغى على جميع الأصوات الأخرى، وتجتمع هذه الأصوات مكونة سيمفونية رائعة إضافة إلى صوت خرير الماء على الأرض وهو ينحدر من فوق الأكواخ.

وفي أحد هذه الأكواخ جلس همام وأمه يراقبان من الباب الصغير لكوخهما ويستمتعان

بهذه المكرمة الإلهية، حتى أعياهما التعب والنعاس وناما وهما يشاهدان هذا المنظر فجميع سكان الوادي معتادين على النوم مبكراً.

و لم يشعر همام بنفسه إلا و هو مستيقظ على صياح الديكة التي ملأت الوادي بصوتها الآتي من البعيد والقريب، وهو في نفس الموقع عند باب الكوخ رفع نظره وإذا بوالدته تجهز الإفطار وهو عبارة عن خبز التنور وهي تُتَمَتِّمُ بالأذكارِ مع كُلِّ رفعةٍ يدٍ أو أي ميلانٍ لجسمها، فهؤلاء الناس مؤمنون بالفطرة، و الحمدُ والشكرُ والاستغفارُ هو دينُهم... أحست الأم بابنها ونظرت إليه مبتسمةً وقالت: صَبَّحَكَ اللهُ بالخير، وقام همام من موقعه وقَبَّلَ رأس والدته واتجه إلى إناء ماء كان موجودًا في وسط الحوش، وقام بغسل يديه ووجهه وهو يشاهد صغار الماعز وهي تقفز بحركات غير متزنة حيث أنها تارةً تسقط بالقرب من التنور وتدفعها والدته عنه بيدها كي لا تسقط في النار، وأخرى تصطدم به، وأحيانًا تقفز متجهة نحو قفص الدجاج، و الذي يزعجه هذا التحرك، ويقوم بإصدار أصواتٍ تدل على الضيق من هذا التصرف حيث أنها تضع منقارها صوب الأرض لإلتقاط الحب فيندفع إليها صغار الماعز وصارت تضطر للتوقف عن نشاطها بينما يقوم صغار الدجاج بالاختباء من هذا الهجوم، وقد قطع هذا المشهد على همام نداءً أمه له

(همام...الفطور جاهز)، و بينما همام يتناول فطوره نظر إلى والدته

وقال لها: هل سمعت بالخبر؟

والدته: ما هو؟

همام: لقد خُطِبْتُ خديجة ابنة العم عواد، لقد خطبها ابن مشاري.

الأم: مباركٌ عليهم...لقد سمعتُ بهذا الخبر.

همام: هذا يعني أننا بإمكاننا خطبة فاطمة؟

الأم: و قد تغير وجهها: الزواج يحتاج منا الكثير من الاستعداد.

همام: أولاً: لماذا تغير وجهك؟

ثانياً: لقد سبق و أن قلتُ لكِ إنني أحبُ فاطمة، وأريد أن أتقدم

لخطبتها وأجبتني في وقتها بأنه لا يمكن خطبة فاطمة وأختها

خديجة في الطريق، و الآن خديجة خُطِبَتْ و أتيتني بعذرٍ جديد،

أكرهين أن تَريني متزوجاً مثل باقي الخلق؟

الأم: قامت متجهةً إلى الكوخ قائلةً: قلتُ لكِ إن الزواج يحتاج إلى

نقود، إضافةً إلى أنك مازلت صغيراً.

همام: أنا صغير؟ عمري الآن عشرون عامًا، وأصدقائي جميعهم تزوجوا وأعمارهم في الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، و أما بالنسبة للنقود فمعي من المال ما يكفي.

الأم: هذا رأيي... ولا تحدثني في هذا الموضوع .

همام: ماذا..؟ لا أحدثك في هذا الموضوع؟ إن جميع الأمهات يفرحن عندما يكلمهن أولادهن عن الزواج و أرى أن العكس يحدث معي ما هو السبب أخبريني؟

الأم: يكفي...يكفي... لا أريد التحدث عن هذا الموضوع، و بدأت بالبكاء.

همام: ألهذا الحد! ما هو سبب بكائك؟

الأم: يا بني أعلم أنك تحب فاطمة و لكن ...الوقت غير مناسب.

همام: فاطمة ابنة صديق والدي وهو يحبني كثيرًا، وسوف يقبل بي، ولن يكون المال حاجزًا لإتمام هذا الزواج...فقط يا أمي أريدُ مباركتك و سوف أقوم بمحادثته...قلت فقط أريد أن تباركينى، وتكلميني بالدعاء...هل هذا صعب؟ فقط مباركتك.

الأم: لا أعلم ماذا أقول..؟ أفعل ما تريد..

همام: وماذا عن الدعاء؟

الأم: من الجهل طلب الدعاء من الأم، فهذا حاصل لا محالة... وقام همام بتقبيل أمه وشكرها، ومع كل قبلة يلاحظ انهمار دموعها، والحزن الشديد على محياها... ولكن مع فرحته بسماع أمه له بخطبة فاطمة لم يتوقف تعجبه لسبب هذا الحزن والممانعة، واتجه مسرعاً إلى "الحظيرة" وأخذ الأغنام وصغارها لرعيها، وأخذ معه عصاه، وكيساً صغيراً جهزته والدته فيه قليل من التمر والخبز، وخرج بأغنامه.

وبينما هو في الطريق بأغنامه لاحظ أهل القرية وقد تجمعوا على ضفاف الوادي يشاهدون السيل الهادر حاملاً معه ضحايا من أخشاب وأشجار وأغصان وحيوانات إلى جهة مجهولة فوقف ليشاهد معهم هذا المنظر، ورأى عمه عواد من بُعد، وابتسم له وحياء بيده، فرح همام بهذه الابتسامة وقال إنها فأل خير ولكن الوقت الآن غير مناسب لمحدثته.

عاد همام إلى أغنامه واتجه بها إلى سفوح الجبال تاركاً الجمع خلفه، وشق طريقه بين أحراش السمر والسرحد والدوم، فلما وصل بها إلى

مكان الرعي تركها تنتقل بين الأعشاب، وهو يلاحظها ويتبعها بخطوات بطيئة حتى مالت الشمس إلى الظهيرة، ووجد صخرة كبيرة استظل بظلها وأخرج محتويات كيسه الصغير، وجمع بعضاً من العيدان وأشعل فيها النار، و وضع فوقها براد الشاي الصغير، والذي كان لونه لون سواد الليل، وعندما أصبح الشاي جاهزاً سكب لنفسه فنجاناً وأخرج الخبز وأخذ يقسمه في الشاي، ورفع نظره إلى جهة الوادي و الذي اختفى خلف تلك الأشجار، و بدأ يفكر في الطريقة الأنسب لمحادثة عمه عواد و بينما هو مستغرقاً في التفكير إذا برجلٍ أشعثٌ أغبر شكله مخيف و يجر خلفه حماراً، فوقف عند رأسه قائلاً له: السلام عليكم.

فوقف همام و هو يرتجف خوفاً من هيئة ذلك الرجل و هو يقول: و عليكم السلام..

الرجل: اجلس... اجلس أريدك أن تعطيني كوباً من الشاي.

همام: أبشر الله يحييك.

الرجل: جلس وقال: هل تربطك صلة بحماد الذئب؟

همام: حماد الذئب هو والدي، هل تعرفه؟

الرجل: رحمة الله عليه، إنه اسمٌ على مسمى، أرجو ألا تكون مثله يا بني.

همام: كيف تمتدح والدي وتدعو أن لا أكون مثله؟

الرجل: يا ولدي الذئب ليس محله بين البشر.

همام: لم أفهم؟

الرجل: لا عليك... لا عليك، إن الشاي لذيذ، سلمت يدك.

همام: و لكنني لم أتعرف عليك؟

الرجل: أنا فراج، كانت تربطني علاقة قوية بأبيك.

همام: فراج، ها... إن أُمي دائماً تذكرك بالخير وتثني عليك عندما تأتي سيرة والدي.

الرجل: وكيف حال والدتك الآن..؟ لقد عانت كثيراً.

همام: هي بخير... ولكن رغم أنني أسمع بك كثيراً إلا أنني لم أراك في

الوادي، أين تسكن؟

الرجل: أسكن سفوح الجبال.

همام: و ماذا تعمل؟ و من أين تعيش؟

الرجل: لقد خلق الله الإنسان وتكفل برزقه، ثم وضع الكوب ووقف متجهاً إلى حماره، وأخرج من الكيس زوجاً من الحبارى وقدمها إلى همام وقال: سلم على والدتك... وسحب حماره.

همام: قف... قف... العم فراج لدى أمر هام كنت أفكر فيه قبل أن تأتي إليّ، وبما أنك صديق لوالدي أريد أن أستشيرك فيه.

الرجل: وما هو ذلك الأمر؟

همام: أظنك تعرف العم عواد.

الرجل: عواد؟ ونعم الرجل، لقد كان أخاً وصديقاً لي ولوالدك، ماذا عنه، أ هو بخير؟

همام: إنه بخير... ولكن أريد أن أتقدم لخطبة ابنته ولا أعلم كيف أبدأ الموضوع معه، فهل ترشدني؟

تغير وجه الرجل وسكت قليلاً... لاحظ همام التغير الذي حصل على الرجل وبسرعةٍ تذكر والدته وما كان منها.

الرجل: ليس لدي فكرة في تلك الأمور، ولم يسبق لي أن تزوجت أو حتى تقدمت لخطبة إحداهن... ونظر إلى الوادي وقال: أتعلم يا همام، إن بين هذه الأشجار الكثيفة تكثر العناكب والعقارب

والحيات السامة بأنواعها، إنني أكره هذا الوادي، إنني أكره هذا الوادي،
الوادي، ولذلك هربت إلى سفوح الجبال حيث الهواء العليل
ويمكانك مشاهدة ما حولك...ثم سكت.

وجر حماره وبدأ بالرحيل.

نظر همام إليه وهو يغادر وقال: لم أفهم..؟

توقف الرجل وقال: أريد أن أقدم لك نصيحة يا بُني، دائماً توقع
الأسوأ، وتعلّم الصبر إن كنت تريد أن تعيش بين البشر.
وداعاً يا بُني.

وقف همام ينظر إلى الرجل وهو يجر حماره بخطى سريعة حتى
اختفى عن ناظره.

ثم قام بتجميع أشياءه ووضعها في الكيس، وأخذ عصاه وربط عليها
زوج الحباري، واتجه نحو أغنامه وتحرك بها إلى الوادي وهو يفكر
ويتمتم ببعض كلمات الرجل "توقع الأسوأ"، عقارب،
عناكب...ماذا يقصد...إنه مجنون! نعم إنه مجنون.

وعندما وصل إلى الوادي مشى بمحاذاة لعله يرى عمه عواد، حيث
رآه يغتسل في الوادي وعندما رآه عواد أشار إليه ملقياً التحية

وخرج من الماء وبدأ بتجفيف نفسه، ولاحظ زوج الحباري وقال: لم أعلم أنك صيادٌ يا همام ؟

ابتسم همام وقال: لقد أُهديتُ إليّ من رجلٍ عزيزٍ عليك.

عواد: رجل عزيز عليّ؟ من يكون هذا الرجل؟

همام: إنه فراج.

عواد: فراج...؟ فراج...أوه لقد مضى وقتٌ طويل، ولكن كيف تعرفت عليه؟ أو تعرف عليك؟

إنني لم أره منذ ثمانية عشر عامًا.

همام: تعرّف عليّ عن طريق الدم، قال إنني أشبه أبي.

عواد: لقد كانت تربطنا علاقة قوية منذ الصغر أنا وأبيك وفراج إلى أن حدث ما حدث.

النشر الإلكتروني

همام: وما الذي حدث؟

عواد: لا عليك، أعتقد أنني سوف أشاركك في هذه الحباري.

همام: بكل تأكيد...العم عواد أريد أن أحادثك بموضوع ما؟

عواد: خير...أأنت بخير، هل تحتاج لشيء؟ أوالدتك بخير؟

همام: العم عواد كل شيء على ما يرام، والحمد لله... لكن ما في الأمر...

عواد: تكلم يا بُني ماذا تريد؟ ما هو الأمر؟

همام: أريد أن أتقدم لخطبة ابنتك فاطمة.

وما أن انتهى همام من كلمته هذه إلا وقد تغير وجه عمه عواد وبدأ بتجميع أغراضه وهو يقول: الفتاة مازالت صغيرة... الفتاة مازالت صغيرة.

همام: إن جميع فتيات القرية يتزوجن في الثالثة عشرة والخامسة عشرة، وأنا لم أتحدث عن زواج بل تحدثت عن خطبة، وبالنسبة للزواج يمكن أن تحدده أنت متى ما شئت.

عواد: أحده متى ما شئت...؟ ماذا تقول؟ أنا الآن مشغول بزواج خديجة... ولا يمكن أن نتحدث عن أشياء في علم الغيب.

همام: العم عواد ماذا تقول...؟ أفهم من كلامك أنك ترفض فكرة زواجي من ابنتك... هل توجد عليّ ملاحظات؟ ولماذا لاتحاول النظر إليّ عندما نتكلم؟

عواد: لا أعلم... لقد قُلْتُ لكِ إن الفتاة مازالت صغيرة... ولا أحب
التحدث عن أمر لم يأتِ وقته بعد... وبسرعة غادر وبدون أن ينظر
إلى همام.

وقف همام بدون حراك ورمى ما بيديه من زوج الحبارى ووضع يديه
فوق رأسه فهذه الإجابات لم يتوقع أن تحدث من رجلٍ كان يعتبره
في مقام والده... وظل على وقفته حتى غابت الشمس، وأخيرًا
تحرك ببطء متجهًا إلى منزله، حيث وجد والدته بانتظاره في
الطريق، وكانت خائفةً عليه فلم تتعود على تأخره، وزاد من قلقها
عندما رآته الدهول الواضح على وجه ابنها.

الأم: خيرًا! ماذا حدث؟

همام: لا شيء... لا شيء... ومدت الأم يدها إلى يده وأخذته إلى
المنزل يتبعها وهو شارد الذهن وقد آلمها هذا المنظر لابنها الوحيد
وبدأت بالبكاء وهي تسأله: بالله عليك يا بني ماذا بك؟ أخبرني؟
همام: هاه... لا شيء...

الأم: أتريد أن أضع لكِ عشاءك الآن؟

همام: هاه... لا أريد عشاءًا... لا أريد شيئًا أريد أن أكون وحدي.

الأم: وحدك؟ ماذا تقصد بالله عليك؟ هل تشكو من شيء؟
همام: نظر إليها، ثم قال: لقد تقدمت لخطبة فاطمة، ولم أجد إجابةً
شافيةً من العم عواد، لقد تركني وغادر.

الأم: هاه...تقدمت لخطبة فاطمة؟...أتريد أن أضع لك
العشاء؟ وغادرت...

همام: هاه...العشاء...ماذا يحدث؟ أقول لك العم عواد لم يجبني،
لقد تركني، وتقولين لي أضع لك العشاء...وتتركينني، هناك أمر! هناك
سر...لقد رأيتُ هذه النظرة في عينيك عندما أخبرتك عن رغبتني في
الزواج، ولقد رأيتها في عين العم عواد، ونفس هذه النظرة والدهشة
رأيتها في عين العم فراج.

الأم: ماذا؟ فراج؟

همام: ماذا أصابك؟ ألا تعرفين فراج؟ من أكون أنا؟ وما هي القصة؟
أريد أن أعرف هذا منك، وإلا سوف أعرفه من مكان آخر.

الأم: لقد كنت أخشى هذا اليوم طوال حياتي.

همام: ماذا تقصدين بهذا الكلام؟ وما الذي كنت تخشينه؟

في هذه اللحظة سمع صياح العم عواد وهو ينادي
همام...همام...همام...ماذا يريد هذا الرجل؟ واتجه نحو
الباب...وعندما قابل عمه عواد رآه في حالة يرثى لها فقد ارتسم
على وجهه همٌّ وحزنٌ عظيمان وقال: ابني همام هل تسمح لي
بالدخول؟

همام: ماذا تريد؟

الأم: دع عمك يدخل يا بني.

همام: تفضل.

جلس العم عواد وأجلس همام بقربه...ووقفت الأم على باب الكوخ
تستمع بعدما ألفت التحية على عواد.

عواد: لقد حضرتُ إليك لأخبرك أنني لن أجد عريسًا لابنتي يضاهيك
في كرم أخلاقك وحسبك ونسبك في هذا الوادي وأنت تعلم رأيي
فيك، ولكن موضوع زواجك من ابنتي سوف يجلب لي ولعائلتي
الشقاء، وأنا رجل تجاوزت الأربعين من العمر، ولست مستعدًا لأي
مغامرة، وليس باستطاعتي معاكسة التيار، لقد فعلها والدك وعمك
فراج قبل عشرين عامًا، وكانت النتيجة كارثة.

همام: ماذا فعل أبي والعم فراج؟ وماذا تقصد بعكس التيار؟

عواد: حسب عادات القبيلة يُمنع أي فرد من أفراد القبيلة تزويج ابنته أو أخته لأي إنسان من خارج القبيلة أو ممن قام بأعمال معين مثل الجزارة أو الحدادة أو الطبخ، ولذا فقد كثرت العانسات في الوادي، فقرر أبوك وفراج بعمل ما يروونه مناسبًا وخالفوا العادات والتقاليد، وثارَت الدنيا ولم تخمد، واعتُبر هذا الأمر تحديًا وشذوذًا، فقامت القبيلة بطرد عماتك وأزواجهم ومقاطعة أبيك وامتنعوا عن مبايعة فراج أو الشراء منه، وقام أخوالك بأخذ أمك من أبيك وطلبوا منه الطلاق وكانت أمك حاملاً بك، ولكن والدك رفض، وتحدى أهل الوادي وحاول استرجاع والدتك إلى أن أتاه جدك باكيًا طالبًا منه الطلاق، لذا يا بُني لو قبلت بك زوجًا لابنتي سوف تدمر عائلتي وبالتالي هذا الزواج، لأن أي اتصال بأبيك أو فراج يعتبره أهل القرية عارًا، ولن يتعامل معنا أحد في هذا الوادي لقد دفع والدك وفراج ضريبة تصرفهما رغم علمي أنه هو التصرف الصحيح، وتحولوا بين عشية وضحاها من أفراد معززين في القبيلة إلى مشردين لا يجدون من يتعامل معهم، ولقد قرر فراج الخروج من الوادي بينما جلس

أبوك في الوادي متحدثاً لأجلك أنت ووالدتك ولكي يكون قريباً منكما رغم أنه كان ممنوعاً من الاتصال بكما وبذلك صار وحيداً وهو بقربك، وفي أحد الأيام وُجد والدك ميتاً تحت شجرة دوم كبيرة وقال أبناء عمومته أنه مات نتيجة لدغة حية ليرتاح من هذه المعاناة، والآن وبعدما سمعت مني أرجوك قبول عذري ولو أنني أستطيع أن أعمل شيئاً لفعلت.

همام: وهل تقدم لعماتي رجالاً من القبيلة؟

عواد: نعم، العواجيز والصعاليك، الذين يعاملون النساء كأغنامهم.

همام: وقد يحدث هذا لفاطمة وأخواتها؟

عواد: نعم...نعم يا بُني، ولكن ضرر فردي خير من الضرر الجماعي...إنا لله

وإنا إليه راجعون، ثم استأذن وخرج...جلس همام ثم استلقى على الحصيرة وأخذ ينظر إلى السماء وأخذ نفساً عميقاً وقال بصوت سمعته والدته والتي جاءت بقربه "لقد ضعت أنا"، قالت له والدته لا تقنط من رحمة الله، فإن الله قادر على تغيير هذا الحال.

همام: ونعم بالله.

الأم: أتريد أن أضع لك العشاء؟

همام: لا، شكرًا يا أمي... اذهبي ونامي وعندما أشعر بالجوع سأحضره بنفسى، تصبحين على خير .

الأم: وأنت من أهله.

جلس همام يراقب السماء ورأى نجمًا يسطع ثم يضم نوره وكأنه يخاطبه وظل يراقب هذا النجم.

والذي لم يغب عن ناظره ولم يشعر إلا بصوت الديكة وهي تعلن عن قدوم يوم جديد.

استيقظت والدته همام ورأت ابنها مستيقظًا ولم ترتسم على وجهه علامات الراحة، ولم تر إلا العبء.

اقتربت منه وقالت: بني لم تنم بعد؟

همام: كيف أنام وقد تبددت أحلامي؟ كيف أنام وأنا أمر بحرمان من أن يكون لي هدف؟

أعلم أنك لا تريدين سماع هذا الكلام... ولكن هذا الواقع وأي واقع؟

الأم: سلم أمرك لله يا بُني ولا تيأس.

همام: أرجوك يا والدتي أن تجهزي لي متاعًا، أريد أن أخرج، أريد أن أجلس مع نفسي .

الأم: وإلى أين يا بني؟

همام: لأعلم، ولكن لن أغيب طويلاً...فقط أريد أن أخرج من هذا الوادي ولو ليومٍ أو يومين .

قامت الأم بتجهيز متاع ابنها والدموع تنهال من عينيها، وبمجرد ما انتهت من تجهيز المتاع اقترب همام منها وقبّل رأسها وأخذ المتاع وخرج بدون أن يلتفت.

واتجه إلى الجبال مرة يجري ومرة يمشي ولم يلتفت إلى أحد ولم يشعر إلا والعم عواد يستوقفه همام...همام قف يا بُني.

عواد: لا أعلم يا بُني إن كان من حقي أن أسأل عن وجهتك؟

همام: إنني أشعر بضيق وأريد أن أخرج من هذا الوادي ولو لفترة...ولتعلم يا عم عواد أنك في مكانة أبي...والآن أستأذنك أريد أن أغادر.

عواد: رافقتك السلامة يا بُني.

تحرك همام وخرج من الوادي وبمجرد خروجه صرخ صرخة مدوية أثارت الطيور والزواحف التي كانت قريبة منه، وأخذ يعدو جهة الجبال حتى وصل إلى الصخرة التي قابل عندها العم فراج وأخذ يتتبع خطاه طوال النهار حتى اقتربت الشمس من الغروب وإذ به يرى حمار عمه فراج فأخذ ينادي...العم فراج...العم فراج...انتبه له فراج وجاء إليه مسرعًا...همام...ماذا بك؟

همام: لاشيء...لاشيء...ولكن أردت أن أقابلك...وسقط مغشيًا عليه من الإعياء، فأسرع فراج وأحضر ماءً وأخذ يلقيه عليه حتى أفاق وقام بإعطائه بعض الماء ليشربه، وجلس قليلاً ثم قال: إنني متعب أريد أن أنام، واستلقى على الأرض وما هي إلا لحظات حتى راح في سبات عميق.

قام فراج بتغطيته وأشعل النار بقربه كي يتدفأ وجلس يراقبه حتى غلبه النعاس ونام بجانبه، وقبل طلوع الشمس استيقظ فراج وقام بالعجن، ثم أحضر حطبًا ووضع فوق الموقد لتزداد شعلة النار، وأحضر الدلة والبراد و وضعهما فوق الجمر وقام يخبز العجينة ووضعها فوق الجمر، ثم ذهب إليه إحدى أغنامه وحلبها، وأحضر

الوعاء ووضعه بالقرب من الموقد، وأثناء ذلك أحس بحركة وخطوات فقام وأسرع إلى بندقيته واتجه بها إلى مصدر هذه الحركة وصرخ... من هناك؟

فأجابه السلام عليك...إنني لم آتِ إلا لخير، إنني أتتبع خطى ابني، هل رأيت شابًا في عمر العشرين...؟فقام فراج بإنزال بندقيته وقال: عواد؟؟؟

فأجابه...نعم...نعم...يا فراج فرمى فراج بندقيته وأسرع إليه وتعانقا وهما يبكيان، وأخذا وقتًا وهما على هذه الحال، ولم يستطيعا حتى التكلم بكلمة واحدة، فكان اتصال جسديهما وبكائهما أبلغ من الكلام. وبعد أن هداً أخذوا وقتًا ينظران لبعضهما ويبتسمان تارة ويضحكان تارة أخرى وهما عاجزان عن النطق بكلمة حتى ظهرت الشمس من بينهما وسطع نورها عند ذلك بادر فراج بالكلام وقال تعال يا صديقي إلى جانب الموقد فالقهوة والشاي والفطور جاهز...وجلس عواد إلى جانب الموقد ونظر إلى همام وهو نائم...

عواد: منذ متى وهو نائم؟

فراج: منذ مغرب يوم أمس.

عواد: لقد طلب يد ابنتي مني.

فراج: أعلم ذلك.

عواد: هل أخبرك؟

فراج: لقد أخبرني عندما التقى بي في المرة الأولى، عندها شعرت بمعاناتك والصدمة التي ستحدث لكما.

عواد: لقد كانت أسوأ لحظة مرت علي في حياتي أن أمتنع عن أن أعطي ابنتي لمن أحب، لذا بدأت ومنذ تلك اللحظة بالتفكير في إيجاد حل وخاصة عندما قابلته وهو خارج من الوادي أيقنت أنه متجه إليك، وقد تتبعت أثره وأثناء تتبعي لأثره جاءت لي فكرة قد تنهي معاناتنا جميعًا، ولكنها تعتمد على مدى تعاونك معي.

فراج: وهل تعتقد بأنني سوف أخذلك؟

عواد: أعلم مدى حبك لهما وأبيه رحمة الله عليه، ولكن ما أطلبه هو صعب.

فراج: أنا مستعد أن أقدم حياتي له..هات ما عندك.

عواد: إن همام لديه ثلاثة مواضيع مهمة، أولها موضوع زواجه والثاني أمه والثالث مستقبه، وإن كنا نريد تقديم خدمة لابن صاحبنا علينا حل تلك المواضيع دفعةً واحدة، والحل عندي.

فراج: وما هو دوري في هذه المواضيع؟

عواد: بالنسبة لموضوع زواجه ومستقبه أنا مسؤول عنه وأما بالنسبة لأمه سوف تتقدم أنت للزواج منها.

فراج: الزواج..؟ ماذا تقول..؟ وفي هذا العمر...؟ و من زوجة صديقي..؟

ماذا جرى لك؟ إن هذا مستحيل، ولن يحدث هذا.

عواد: هذا ما كنت أخاف منه الرفض، إن قبولك بالزواج من أمه سيسهل علينا الموضوعين الآخرين.

للنشر الإلكتروني

فراج: كيف؟؟

عواد: الخطة تقتضي بأن تتزوج من أمه، وسوف نشيع في الوادي بأن همام وجد عملاً خارج القرية وأمّه ذهبت برفقته...وتأتي هي وابنها للعيش معك وبعد ثلاثة أسابيع سوف أقوم بتزويج ابنتي لهمام وعندما يجتمع شملكم سوف ندبر سفركم إلى المصوع..

فراج: المصوع ... ماذا تقول؟

عواد: أتذكر الساندروا و جنكارلوا صديقينا؟

فراج: صديقانا قبل سبعة عشر عامًا، وماذا تقصد؟

عواد: أتذكر عندما سمعنا بمشكلتك أنت وحماد و طلبا منكما مرافقتهم، ولكنكما رفضتما طلبهما، وقد جاء إلي وأعطاني عنوانهما لإعطائه لكما إذا احتجتهما، أتذكر كلامهما عن بلدهما وعن فرص العمل هناك.

فراج: أنت تحلم يا صديقي، أتكلمني عن شيء حدث قبل سبعة عشر عامًا، قد يكونا ماتا أوغيرا عنوانهما، ثانيًا هل تعلم أين بلادهما؟ وكيف الوصول إليها؟ عواد ماذا حدث لك؟ نحن لا نعلم غير هذا الوادي. عواد: وماذا عملت أنت طيلة هذه المدة، ما هو الانجاز الذي فعلته، لولا أنني مرتبط بعائلة لذهبت أنا مع همام ولحييت هذه التجربة... خاصة وأنه قال فقط خذ أي مركب واتجها إلى المصوع. وهناك سوف تجدون بواخر كبيرة تقلكما.

فراج: إن حديث الساندروا كان لشابين قوين أنا وحماد وليس
لمسنين في عمري الآن وعمر أم همام، إضافةً لهما وابنتك، إنها
مغامرة مجنونة.

عواد: ماذا تقول؟ أنت مازلت شابًا وربيعه كذلك.

فراج: من هو ربيع؟

عواد: ماذا حدث لك؟ هل نسيت زوجة صديقك؟

فراج: أوه... لقد نسيت.

وفي هذه اللحظة بدأ همام يتحرك ويتململ... عندها قال عواد
بصوت خافت: لا أريد مجادلتك، وما أريده منك كلمة واحدة
فقط... موافق... هاه... ماذا قلت؟

فراج: لا حول ولا قوة إلا بالله... موافق.

عواد: على بركة الله... الآن اذهب واحضر لنا شيئًا نأكله.

ذهب فراج واستلقى عواد على الأرض لإحساسه بالتعب والإعياء
وأغمض عينيه وراح في سبات عميق.. ولم يشعر إلا بمناداة فراج له
عواد... عواد... انهض الطعام جاهز وما أن فتح عينيه حتى رأى فراج
وبقربه همام الذي أتاه مبتسمًا وقبل رأسه.

عواد: لقد أشغلتني يا بُني.

فراج: دعك من هذا فهمام رجلٌ لا يُخافُ عليه.

عواد: نعم... ونعم الرجل، ابن الحبيب.

فراج: هيا اغسل وجهك والحق بالطعام فإننا لن ننتظرك.

عواد: موجهًا كلامه لهمام... هذه عادته منذ أن كنت صغيرًا فهو

ضعيفٌ أمام الأكل... والابتسامة تعلو محياه.

قام عواد وشاركهم الطعام بعد أن غسل وجهه، وبعد انتهائهم قام

فراج وقال: أيها السادة أما الآن فسوف أبتعد عنكم لأخذ قسطًا من

الراحة، فأنا لا أفرط في القيلولة... وولى مبتعدًا.

نظر عواد إلى همام وقال له: يا بُني أشعر بأنني شابٌ في عمر

العشرين، إن لقائي بفراج أفرحني وذكرني بالأيام الخوالي ورؤيتك

تذكرني بوالدك، فأنا الآن أرى أن ثلاثتنا مجتمعون... لذا لدي خبرٌ

سارٌّ لك.

همام: وما هو؟

عواد: لقد قررت وافقت ع زيجتك من ابنتي فاطمة.

همام: ولكن يا عم عواد... فاطمة.

عواد: اسكت لم أكمل كلامي.. ولكن عملية زواجك تحتاج لبعض الترتيبات، وكما تعلم أن زواجك في القرية يعتبر مخاطرة علي وعلى عائلتي، إضافةً إليك...لذا سيكون

زواجك سرًا وبطريقةٍ مخططٍ لها، ومن ثم السفر مع عمك فراج إلى المصوع ومقابلة الساندروا أو جنكارلوا وسيقومان بمساعدتك، وأول جزءٍ من هذه الخطة، هو زواج أمك من فراج.

همام: ماذا تقول؟ أمي تتزوج من العم فراج؟

عواد: وماذا تقول في فراج؟ ألا يعجبك؟

همام: لا...لا...أقصد، ولكن..

عواد:إنني أرغمتُ فراج على الموافقة...ولقد وافق من أجلك.

همام: ولكن ماذا عن رأي أمي؟ولماذا هذا الشرط؟

عواد: هذا ليس شرطًا وليس بيني وبينك شروط...وما أقوم به هو من مصلحتك ومصلحة والدتك وابنتي وفراج، فأنت لن تستطيع أن تعيش بدون والدتك ولن تستطيع تحمل مسؤولية امرأتين معًا، فزواجك ومستقبلك ليس في الوادي كما تعرف.

همام: العم عواد...إنني لا أريد أن أحملك أنت وفراج ووالدي وبالطبع ابنتك هذه المعاناة...إنني أكره أن أكون عبئاً على أحد.

عواد: إن معاناتك هي معاناتنا...انتهى النقاش.

والآن جهز نفسك للرجوع إلى الوادي، قبل أن يحس بنا أحد.

همام: ولكن من سيكلم والدي...وما هو رد فعلها؟

عواد: هذا عملي، هيا جهز نفسك للعودة.

واتجه عواد للموقد وبدأ بصنع القهوة...وعندما انتهى منها اتجه إلى

حيث فراج نائم، وأيقظه من النوم وقال له: القهوة جاهزة...استيقظ

فراج واتجه عواد إلى الموقد وجلس بجانبه، وقال لهمام: هل أنت

جاهز؟

همام: نعم أنا جاهز.

عواد: هيا تعال لناخذ فنجالاً من القهوة...وجلسوا جميعاً يتناولون

القهوة، وقال فراج: لماذا لا تنامون الليلة وترحلون مع طلوع الفجر؟

عواد: يجب أن نغادر الآن لكي لا يحس أحدٌ بغياي، وعلى كل حال

أريد أن تكون متواجداً بعد غدٍ صباحاً، تحت سرحة حماد.

فراج: إن شاء الله.

واتجه همام وعمه عواد إلى الوادي وبينما هما ماضيان في طريقهما
سأل همام عمه عواد: لقد ذكرت أسماء غريبة وقلت أنهم سوف
يساعدوننا مثل: السا...وجانك..

عواد: تقصد الساندروا وجنكارلوا؟

همام: نعم ، هذه الأسماء...نعم.

عواد: قبل أكثر من عشرين عامًا حضر إلى وادينا مجموعة من
الأجانب ومعهم مركبات، واجتمعوا مع شيخ القبيلة وقالوا إنهم
يتبعون لوكالة دولية لمكافحة الجراد، وقالوا أن هناك مناطق أو بؤرًا
لهذا الجراد، على طول الوادي وهم يقومون بمكافحته بالسموم التي
يحملونها، وطلبوا من الشيخ إذا كان يريد توظيف أحد من أبناء
القبيلة، فسألهم الشيخ عن العدد المطلوب، فقالوا نحتاج أحد عشر
عاملًا، وكانت الأجر مغريًا جدًا، وطلبوا أن يكون العمال شبابًا، لأن
حملاتهم تدوم لأكثر من ثلاثة أشهر، فقام الشيخ بتوظيف أغلب
أقاربه، بالإضافة إليّ ولأبيك و فراج، ولقد نشأت صداقة قوية بين
أبيك والشابين الإيطاليين، الساندروا وأخيه جنكارلوا، ودامت هذه
العلاقة لمدة ثلاث سنوات، ففي كل عام تأتي هذه الحملات، ويتم

اختيارنا من قبل الساندروا، وهو يعتبر المسئول الثاني لهذه الحملات، وعندما حدثت المشكلة لأبيك والتي سبق وأن أخبرتك بها طلب منه الأخوان مرافقتهم هو وفراج، ولكن أباك وفراج رفضا كل المحاولات التي قدمت لهما، فأبوك لم يرد المغادرة لأنه كان يريد أن يكون بالقرب منك ومن والدتك، رغم كل الظروف، وفراج فضل البقاء رغم أنه لم يكن مرتبّطًا، ولكن فضل أن يعيش تعيّسًا في بلده خيرًا من أن يعيش مغتربًا في بلد آخر.

همام: إذا نحن نخرج العم فراج؟

عواد: ليس لديه ما يخسره.

أقبل الليل واستمر همام وعواد بالسير طوال الليل حتى وصلوا مشارف الوادي عند الفجر، عندها طلب عواد من همام أن يأخذ قسطًا من الراحة وأن يدخلوا الوادي في الضحى، وذلك لأن الصباح هو ونشاط أهل الوادي، لذلك من الأفضل دخول الوادي عند الظهيرة، كي لا يلاحظهم أحد، وطلب عواد من همام بأن يسلك الطريق إلى منزله، وسوف يأخذ هو طريقًا آخر، وبدلاً من أن يذهب

عواد إلى منزله ذهب إلى كوخ عمران خال همام، وعندما وصله بدأ يناديه...عمران...عمران...خرج عمران...خيرًا عواد ماذا حدث؟

عواد: هلاً أذنت لي بالدخول؟

عمران: حياك الله...لا تؤاخذني فلم نعتد على الزيارة في الظهيرة...خيرًا...أهناك...قاطععه عواد وقال: خير...خير...في الحقيقة اخترت هذا الوقت لأنني أريدك على انفراد، لقد أتاني ابن أختك همام خاطبًا لابنتي فاطمة فماذا ترى؟
عمران: كان الله في عونك وعونه وعون أختي.

عواد: إذا أنت تعرف المشكلة التي أواجهها ويواجهها همام وأمه؟
عمران: نعم، ما باليد حيلة.

عواد: بالنسبة لي فقد قررت تزويج ابنتي، وكل ما أريده منك هو إقناع أختك بالزواج من فراج.

عمران: ماذا تقول؟ أختي وفراج...أين فراج؟ وما دخل زواج همام بزواج أختي من فراج.

عواد: أنت تعلم أنه ليس بإمكانني تزويج ابنتي في الوادي، ولدي خطة لتزويجهم خارج الوادي، وبما أن ابنتي وهمام صغيران فإننا

نحتاج لفراج وأختك لمساندتهما... لا أريد أن أطيل الحديث، كل ما في الأمر أريد منك أن تذهب إلى أختك، وتبلغها أن مستقبل ولدها بيد الله ثم بيدها، وقل لها بأنّ عواد موافقٌ على زواج ابنته فاطمة من همام بشرط زواجك من فراج... وأريدك أن تذهب الآن.

عمران: وماذا عن إخوتي؟

عواد: ماذا تقول..؟ لقد اخترتك أنت بالذات لعلمي برجاجة عقلك... لا أريد أن يعلم أحد بالأمر، وإلا دخلنا جميعًا في مشكلة، لا يعلم كيف الخروج منها إلا الله.

عمران: الآن؟

عواد: نعم الآن، وأريدك أن تأتي إلى منزلي في المساء وتخبرني بما حدث معك، خرجا من الكوخ، واتجه عمران لأخته بينما اتجه عواد إلى إمام المسجد الشيخ رزق، وعندما وصل المسجد وجده مستلقيًا في ظل المسجد الصغير، المبني من القش والجريد، وناداه.. يا شيخ رزق... فأجابه رزق.. عواد..؟ خيرًا... أكل شيء على ما يرام؟

عواد: خير..خير..كل شيء على ما يرام، ولكن أتيتك لأسألك سؤالاً مباشراً، وأريد منك إجابة مباشرة.

رزق: قل ما عندك، اسأل سؤالك، لقد أشغلتني.

عواد: هل ما قام به أهل القرية ضد حماد وفراج كان تصرفاً صحيحاً؟

رزق: عواد ماذا حدث لك..؟ تأتيني في الظهيرة وتسالني عن شيء

مضى عليه أكثر من سبعة عشر عامًا، لقد مات حماد ولا نعلم ماذا

حدث لفراج.

عواد: لم تجب على سؤالتي.

رزق: وما هي الفائدة من إجابتي..؟ وما هو المغزى..؟

عواد: المغزى لقد جاءني همام يخطب ابنتي، فماذا تقول يا شيخ؟

رزق: أنت تعلم رأي الدين في هذا الموضوع يا عواد.

عواد: إذا أنا سوف أزوج همام، وعليك تحمل مسؤوليتك.

رزق: ماذا تقول؟ أتريد أن تقدم ضحايا آخرين؟ ألم يكف ما حدث من

قبل لصديقيك؟ إن زواجا مثل هذا يعني دمار بيتي وبيتك ويقضي

على همام وأمه.

عواد: وإن كان بالسر؟

رزق: وكيف..؟

عواد: احضر إلى بيتي مساءً، وسوف تعلم كيف يكون ذلك.

رزق: في المساء، على بركة الله.

ورجع عواد إلى بيته وهو يحس أنه أنجز نصف المشوار، وانتظر في بيته قدوم الشيخ رزق وعمران وهمام، بينما كان عمران ينقل رسالة عواد لأخته، والتي وافقت على مضض وبعد تردد بعد أن علمت أن هذا العمل سوف يسعد ابنها... وبعد أن تأكدت أنها إن لم توافق فسوف ينتهي آخر أمل لابنها.

ومع مغيب الشمس جاء همام وعمران والشيخ رزق يتتابعون إلى دار عواد، ورحب بهم عواد وقال سوف نغادر الآن، وسوف يكون المبيت تحت سرحة حماد، لكي نقابل فراج صباحًا، وتحركوا وأخذ عواد معه خروفاً سمينًا وحماره الذي كان يحمل الماء والمثونة، ومضوا في طريقهم حتى وصلوا السرحة وقاموا بربط الحمار والخروف وناموا، وما أن ظهر أول خيط للصباح حتى نهضوا جميعًا، وإذ بفراج بينهم، وبدأ العناق بين فراج وعمران والشيخ رزق، ومن بعد ذلك قاموا بإشعال النار ووضع القهوة، وذبح عواد الخروف وقطع اللحم وجمع

المرخ ووضعه فوق الجمر، ووضع اللحم فوقه، بينما قام همام وخاله عمران بتجهيز الخبز، وبعد انتهائهم من إعداد الوليمة قام عواد وطلب من الشيخ رزق بعقد الزواج بينه وبين همام على ابنته فاطمة، وبعد ذلك فراج وعمران وعقد زواج فراج من أخت عمران أم همام، وبعد كتابة العقد قام الجميع بالمباركة للعروسين، وبدأت مراسم الاحتفال بتناول اللحم مع الخبز واللبن والتمر، وكان الجميع في قمة سعادتهم، وبالخصوص همام والذي يكاد أن يطير من الفرح، وتخللت سعادة الجميع بهذه المناسبة لحظات من القلق والتوتر الذي كانوا يخفونه بالابتسامات والتطرق إلى مواضيع عفوية.

فأراد عواد أن يوقف هذا التوتر فقام وغيّر مكانه وبدأ بالحديث قائلاً: والآن بعد هذه المناسبة الطيبة سوف أخبركم بالخطة التي وعدتكم بها... فقد تم إنجاز المرحلة الأولى من الخطة، وهي زواج همام وفراج والحمد لله، أما الخطوة الثانية فهي بقاء همام وأمه وفراج خارج الوادي عند سفح جبل الرمل.

والخطوة الثالثة بعد زواج ابنتي خديجة بعد أربعة أيام سيكون زواج صقر بعدها بثلاثة أيام، سوف ندعى أن ابنتي فاطمة لدغت وماتت،

والشهود هم الشيخ رزق وزوجته وعمران وزوجته، وخلال مراسم الزواج سوف نعمل قبرًا لها وسيقوم أخوها بتوصيلها إلى زوجها همام عند سفح جبل الرمل، وعند عودتهما ستكون مراسم زواج صقر قد انتهت، ويقوم الشيخ رزق وعمران بإخبار القبيلة عن وفاة فاطمة، وأنها دُفنت ولم يريدوا أو بالأحرى لم يُرد عواد إخبار الناس كي لا يعكر زواج صقر، فالحي أبقى من الميت..الخطوة الرابعة: سوف يتجه فراج وهمام وزوجتهما إلى مرفأ البحر حيث توجد سنابيك "الصدف" وسوف يجدون أبو دوم فهو يملك سنابيكًا في المرفأ يعمل في استخراج الصدف ويبيعه في سواكن، وسوف يأخذكم أبو دوم إلى سواكن ومنها تنتقل عن طريق القوافل إلى المصوع، حيث تسألون هناك عن الحاج عثمان وهو الذي سيقوم بمساعدتكم للوصول إلى الساندروا أو جنكارلوا.

فراج: من عثمان هذا؟

عواد: لقد قابلت عثمان قبل ثلاثة أشهر، جاء مترجمًا مع الحملة الأخيرة لمكافحة الجراد وقد قابلته في سوق الوادي وسألته عن الساندروا وجنكارلوا وقال إنهما تركا الشركة وهما يمتلكان شركات

تقوم بأعمال تجارية بين أوروبا وشرق أفريقيا وقد دعوته إلى منزلي وأخبرته عن علاقتي بهذين الرجلين، وقد أخبرته بأن الساندروا وأخاه طلبا مني الذهاب معهما لوجود فرص عمل كثيرة وبرواتب مغرية، وقال عثمان إن كل ما قاله الساندروا صحيحًا، وهناك فرص كثيرة للعمل، وإن فكرت أنا أو من أحب الحضور إلى المصوع فسيقوم بخدمتي، وهذا حدث قبل ثلاثة أشهر فقط.

فراج: إذا توكلنا على الله.

عواد: إذا سنغادر نحن الآن وسيقوم همام بتجهيز نفسه وأمه، وسوف يكون فراج منتظرًا لهما.

عواد: همام... كم تحتاج لتجهيز نفسك؟ وأود أن تكون مغادرتك في الليل بدون أن يشعر بك أحد.

همام: أظن أنني أحتاج يومًا واحدًا فقط.

وقد تم العمل بما خطط له عواد، واجتمع همام بزوجته وأمه وعمه فراج واتجهوا إلى المرفأ حيث قابلوا أبو دوم والذي أخذهم إلى سواكن بعد أن اتفق معهم على مبلغ مالي محدد، وقد دامت رحلتهم البحرية ثلاثة أيام بلياليها، وقد بدا لهم البحر الذي رأوه لأول مرة في

حياتهم كأنه أرض صحراء تربته زرقاء، وكثبانها متحركة تتراقص وتتحرك بانتظام وحيواناته لا تُرى في السطح، إلا ما ندر وبشكل سريع، وأخيرًا بدا لهم بعد هذه الصحراء الزرقاء مرفأ سواكن، وقد بدت منازلها المنشأة من صخور البحر والعشاش وأخيرًا توقف السنبوك ونزل فراج ومن معه في المرفأ، وأخذوا حاجياتهم واتجهوا إلى أحد الأكواخ بتوجيه من أبو دوم ليستريحوا، وبعد أن أخذوا قسطًا من الراحة قام فراج وذهب إلى السوق وأخذ يسأل عن القوافل المتجهة إلى المصوع ودله السكان إلى مكان القوافل المتجهة إلى المصوع، ولكن نصحوه بمواصلة طريقه عن طريق البحر فهي أسرع ولكن فراج كره السفر عن طريق البحر وفضل مواصلة السفر عن طريق البر، ولذا اتجه حيث القوافل واتفق معهم بأخذه إلى المصوع وأخبروه أن الرحلة سوف تتجه إلى كسلا ومنها سوف تمر بقرى أخرى على البحر وصولاً إلى المصوع.

وأخبروه أن القافلة سوف تغادر غدًا عند الفجر، وقبل بزوغ فجر اليوم التالي كان فراج وهمام وأهلهما في موقع القوافل، وجُهِز جملان لحمل فاطمة وأم همام بينما قام فراج وهمام بمتابعة القافلة عند

تحركها، وأخذت هذه الرحلة ستة أيام، وكان وصول القافلة إلى المحطة الأخيرة عند الظهيرة، وبدأت المصوع ومرافئها والبحر يحتضنها من الشرق والجبال من الغرب، وقام فراج باستئجار كوخين، حيث عملت هذه الأكواخ كفنادق للمسافرين، كوخ له ولزوجه والكوخ الآخر لهماام وزوجته، وقام بطلب غداء لهم جميعًا، وأخبرهم بأنهم سوف يرتاحون اليوم بأكمله، على أن يقوم هو وهماام بالبحث عن عثمان غدًا صباحًا.

ومع بزوغ شمس اليوم التالي ظهر فراج وزوجته خارج كوخهما، وأعدّا القهوة، وخرج هماام وزوجته وانضمّا إليهما، تناول الجميع القهوة معًا ثم قام فراج و هماام بالبحث عن الحاج عثمان، وقاما بالسؤال عنه لدى الدكاكين الصغيرة، والتي كانت تباع أشياء بسيطة مثل السمك المجفف والحبوب بأنواعها، إضافةً إلى السمن والعسل والتمر وقد وجدوا الإجابة لسؤالهما لدى أول دكان، والذي أرسل معهم أحد الصبية لكي يدلّهما على دار الحاج عثمان، وما أن وصلا إلى الدار حتى خرج إليهم رجلٌ في الخمسينات من عمره، وسألهما ماذا تريدان، فأجابه فراج نحن نبحث عن الحاج عثمان.

الرجل: أنا الحاج عثمان، خيرًا..

فراج: نحن من طرف عواد صديقك بوادي الظل، دلنا عليك.

الرجل: أهلاً بكما تفضلاً.

فراج: شكرًا، لا نريد أن نشغلك، فأنت خارجٌ وقد يكون لديك

عمل... وكل ما نريده أن تدلنا على الساندروا.

الرجل: الساندروا..؟ إن لديه مكتبًا في المرفأ، وأنا عملي هناك... أرجو

أن تجدوه، فهو عادةً يكون متواجدًا عندما تكون هناك شحنات

للتصدير... وبما أن البابور موجود فهذا يعني أنه موجودٌ إن شاء الله.

همام: ما هو البابور؟

عثمان: البابور السفينة الكبيرة، وأشار إليها.

وأخذهم واتجه بهم إلى أحد الصنادق المشرفة على المرفأ، والتي

أذهلتهم عندما دخلوا فيها، وإذا بكراسٍ وأمامها مكتب مصنوع من

الخشب، لم يسبق وأن رأوا مثله من قبل، ووجدوا رجلًا جالسًا خلف

هذا المكتب فتقدم إليه الحاج عثمان وسأله عن الساندروا، فقال إنه

موجود على البابور... أي خدمة..؟ فأجابه الحاج عثمان: إن هؤلاء

الناس يريدونه، وقد أتوه من مكان بعيد، فرحب بهم وأجلسهم وقدم

لهم القهوة...وبعد ذلك استأذن الحاج عثمان من فراج وقال: لدي عمل، وسأله أين يسكن؟ فأخبره أنه يسكن قريبًا، ودله على مكان سكناه، فقال الحاج عثمان: سوف ألتقي بك عند الظهيرة.

وجلس همام وفراج ينتظران قدوم الساندروا...و بعد قليل سمعا صوت رجلٍ يتحدث بلغةٍ عربيةٍ ركيكة وبصوتٍ عالٍ، وكانت ملامح الرجل غريبة بالنسبة لهما، وما أن رآه فراج حتى وقف مبتسمًا، وقام الرجل الذي كان جالسًا على المكتب واتجه الساندروا إلى المكتب وجلس، ولم يلاحظ فراجًا، ثم أخذ يقلب في أوراقه بينما فراج واقف، وبدأت الابتسامة تختفي من وجهه، ترك الأوراق ونظر إليهما ثم استدار ونظر إلى فراج وهو واقف، عندها وقف...ثم قال موجهاً كلامه إلى الرجل الذي يعمل عنده بكلام غير مفهوم...فعرف فراج أنه يسأل عنهما، فبادره فراج وقال: ألم تعرفني يا ساندروا؟

الساندروا: إن وجهك ووجه هذا الولد ليسا غريبين عني.

فراج: أنا فراج...وهذا همام ابن حماد...تذكر وادي الظل.

فتذكر الساندروا و قام بعناق فراج وهو يقول اعذرنى يا فراج، لم أنسك ولكن المدة طويلة، واحتمال أن أرى رجلاً من وادي الظل

شيء من الخيال...وأخيرًا قررت المجيء...أهلاً بك...ثم اتجه إلى همام ونظر إليه وقال: إنني أشاهد حمادًا...

إن أباك كان رجلاً عظيمًا...حكيمًا...أهلاً بك...ثم أخذ فراجًا من يده وأجلسه على أقرب كرسي، ونظر إلى الرجل الذي يعمل معه وقال أتعلم من هؤلاء؟

إنهما أعز صديقين لي، إنهما جزء من عائلتي...أرجوك احضر لنا شيئًا وبعض الكعك، والتفت إلى فراج وقال: والآن يا صديقي أريد أن أعرف منك ما هو سبب اتخاذ هذا القرار بعد ثمانية عشر عامًا؟

فراج: أنت تعلم بمشكلتنا أنا وحماد؟

الساندروا: أعلم، ولذلك طلبت منكما مرافقتي، ولقد رفضت أنت وحماد رحمه الله.

فراج: هذا همام ولد حماد وأراد الزواج من ابنة عواد وبما أنك تعرف أن هذا عارًا وغيبة في قبيلتنا فلقد زوجه عواد من ابنته وزوجني من أم همام دون علم القبيلة، وطلب منا الرحيل إليك، أليساندروا: مشاكلكم تُورث.

أليساندروا: إذن كيف زوج عواد ابنته لهمام؟

فراج: زوجه بطريقة عجيبة، سوف أخبرك بها لاحقًا.
أليساندروا: صدقني يا فراج إن هؤلاء القوم لديهم وقت كثير وعمل قليل، وانشغلوا بأمور واهية كنت أتوقع أن هذه الأمور اختفت خلال هذه السنوات.

فراج: دعنا من هذا كله، ما أخبرك أنت وأخيك؟
أليساندروا: تعلم أننا عندما أتينا من إيطاليا عملنا في مكافحة الجراد، وخلال الأربع حملات التي عملنا فيها مركز إدارة الحملة هي سمراء وقد صادفنا أنا وأخي عندما انتهينا من الحملة الرابعة رجلاً إيطالياً عجوزاً سألنا عن عملنا وأخبرناه وعن وجهتنا فأخبرناه أننا عائدون إلى إيطاليا فقال: اسمعوا يا أبنائي إنني أقدم لكم عرضاً جيداً، إن هذا الجزء من العالم كنزٌ لم يُفتح بعد، وقد وجدتُ الطريق إليه، إنني أنوي عمل شركة صغيرة لتصدير محاصيل البن والموز من الحبشة والصومال، وإن كنتما تريدان مشاركتي فهذا الشيء يسعدني، وللعلم لدي ابنتان إن كنتما تريدان الزواج منهما فإن هذا الأمر يفرحني... فما رأيكما؟

فلما رأى علامات الرضا على وجوهنا وموافقتنا بدأنا بالعمل وتم زواجنا بابنتيه، ولقد توفي هذا العجوز منذ عشرة أعوام، ونحن الآن أصحاب هذه الشركة، ولكنها لم تعد صغيرة كما كانت، فأنا أشرف على مزارع البن في الحبشة ومكتب الشركة الرئيسي في سمراء، بينما أخي جنكارلوا يشرف على مزارع الموز في الصومال...والآن أين عائلتيكما؟

فراج: لقد أسكناهم قريباً من هنا بجوار المرفأ.
الساندروا: أولاً أريد أن أعرفك على عيسى وأشار إلى الرجل الذي يعمل لديه في المكتب، سيقوم عيسى بالبحث عن سكنٍ جيدٍ لك ولعائلتك، وسيقوم بتعليمك على العمل الذي تقوم به هنا في المصوع، أما بالنسبة لهما فسوف آخذه معي بعد أن يودع والدته وزوجته إلى أصره، حيث سيدخل معهداً خاصاً لإدارة الأعمال، وهو معهد إيطالي سوف يتعلم فيه الإيطالية إضافةً للإنجليزية، للاستفادة منه مستقبلاً، وسوف نقوم بزيارتكم من وقت لآخر...والآن سوف آخذك أنت وهما لمطعم شعبي للأسماك لنحتفل بوصولك.

فراج: شكرًا لك، إن اهتمامك بنا هو أكبر احتفال لنا.
الساندروا: همام هو ابن صديقي حماد فهو مثل ابني تمامًا، وأنت تعلم ذلك، فهذه أقل خدمة أستطيع أن أقدمها لصديقي وعزيزي حماد.

وذهبوا جميعًا للمطعم الشعبي، وأخذ فراج والساندروا يتذكرون أيام شبابهم في الوادي، وهمام يراقبهما... وبعد الانتهاء من الغداء أخذهم الساندروا بسيارته إلى حيث سكنهما، وكانت هذه أول مرة يصعد فيها همام السيارة، وكان يشعر بالدهشة والمتعة.

توقفت السيارة ونزل منها فراج وهمام، وطلب فراج من الساندروا الدخول لتناول القهوة، ولكن الساندروا اعتذر وطلب بسرعة تجهيز همام لينطلقا إلى سمراء، وذلك لوجود أعمال لديه، دخل همام وأخذ حاجياته وكانت بسيطة جدًا وقام بتوديع والدته وزوجته وعمه فراج ورحل مع الساندروا... في هذه اللحظة شعر همام بالغربة، ففي الأول خرج من الوادي حيث جماعته وأرضه إلى أرض غريبة والآن يترك والدته وزوجه وعمه فراج، وهو الآن بدون أهل ولا أرض، وتوجه إلى وجهة لا يعلم عنها شيئًا... شعر الساندروا به فبادره قائلاً: إن هذه

الحياة لديها لحظات جميلة وأخرى مؤلمة، والإنسان الذكي هو من ينظر إليها بنظرة واحدة...لأنه في الحقيقة لا يستطيع أن يغير هذه الحياة ولكن باستطاعته أن يغير نفسه ويجعلها تواكب تغيرات الحياة...لقد خرجتُ من إيطاليا وأنا في مثل عمرك عندما وجدتُ وظيفةً في وكالة مكافحة الجراد

الصحراوي، في شرق وغرب البحر الأحمر فكانت لحظة حزينة بالنسبة لي ولأخي جينكارلوا...ولكن ماذا نفعل!فإن جلسنا في إيطاليا فسوف نعيش فقرًا، نأكل ونشرب فقط، ولن نحقق أي شيء، فالمادة مهمة وهذه الوكالة سوف تُؤمّن لنا هذا الجانب فقبلنا بهذه الوظيفة، وعندما وصلنا وجدنا أمامنا ثلاثة من الشباب في أعمارنا وكانوا في منتهى الطيبة وكان أعزهم بالنسبة لي والدك حماد، فقد أنسونا إيطاليا فقد عملنا مع بعضنا ولهونا وتسامرنا معًا رغم أن اللغة كانت عائقًا والمناخ والبيئة كذلك ولكن استطعت أنا وأخي التعايش مع هذا الوضع، وأصبح الوادي هو إيطاليا وأبوك وفراج وعواد هم

أصدقاءنا وعائلتنا، وعندما واجه أبوك وفراج مشكلةً مع قبيلتهم وأصبحت معيشتهم معهم صعبة في الوادي طلبت أنا وأخي منهما المغادرة معنا ولكنهما رفضا وفضلا البقاء في الوادي رغم علمهما أنهما بذلك حكموا على أنفسهما بأن يعيشوا في مجتمع يرفضهم، ولا يتعامل معهم، وأحمد الله أن عواد شجع فراجًا لاتخاذ قرار كان من المفترض أخذه قبل ثمانية عشر عامًا... لذا يا بُني يجب أن تعرف أن الحياة قاسية، ولكن ما يميزها أنها قصيرة، ولديها طرق متعددة، فالإنسان الذي يبحث دائمًا عن الطرق الأسهل ويُعوّد نفسه على قبول هذا القرار... لذا فإنني وأخي اتخذنا القرار وأصبحت حالتنا أفضل بكثير من أصدقاء لنا بقوا في ديارهم.

همام: إنني أفهم ما ترمي إليه..؟ ولقد عانيت عندما رفض عمي عواد تزويجي... ولقد اقتنعت أنني لم تعد لي حياة في ذلك الوادي، ولكني قررت أن أعود متى ما استطعت التغيير لأكمل ما بدأه أبي... فقد كان خروجكم من دياركم لأجل حياة أفضل.

أما بالنسبة لي وللعلم فراج فخروجنا من ديارنا لمفاهيم خاطئة عانى منها أناسٌ كثير.

الساندروا: إنك تذكرني بأبيك... فقد كان قويًا في الحق، ولكنك قلت كلمة جميلة... عندما أكون قادرًا على التغيير.

وأخيرًا وصلا سمراء، ولاحظ همام الطرق والبنائات والميادين والناس في الطرقات... وهذا المشهد يراه أول مرة فلم يسبق له أن رأى مدينة حقيقية، فما رآه هو سواكن والمصوع وهي عبارة عن مرافئ وأبنية بسيطة وعشش... وأخذ يقلب ناظريه يمنة ويسرة، وأحيانًا ينظر للخلف في دهشة... لاحظ الساندروا ذلك فابتسم وقال: أهلاً بك يا همام في سمراء إنها نجمة ضئيلة بالنسبة للنجوم الأخرى التي سوف تكتشفها لاحقًا.

ودخل في طريق انتهى بهم إلى منزل لم ير همام له شبيهًا و أوقف الساندروا السيارة عند بابه، وإذ بكلٍ في مدخل البيت ينبح وينطنط ويخفض رأسه للساندروا، بينما يكشر في وجه همام، وهوى إليه الساندروا ومسح رأسه وكلمه ببعض الكلمات بالايطالية وكأنه يقول له هذا همام صديق لنا فاخفتت هذه الكشرة وأخذ يتبعهما، وعلى إثر هذه الجلبة وهذا النباح فُتح الباب وإذ بامرأة في الأربعين من عمرها تتجه إلى الساندروا وخلفها بنت في الخامسة عشرة من

عمرها تتبعها وبدا على محياهم الفرح والسرور وأخذوا يضمّانه ويقبلانه.

ونظروا إلى همام وبدأوا يتحدثون الإيطالية وعلم همام أن الكلام يخصه، ثم حيّوه بأيديهم فرد عليهم بالمثل وما أن رد عليهما حتى تحولت هذه النظرة إلى ابتسامة، ثم دخلوا المنزل ولاحظ همام المنزل ومحتوياته وعدد غرفه، وعلم أنه في عالم مختلف من ناحية الشكل والمضمون، وبينما كان همام يتأمل هذا المنزل والدهشة تملأه، لاحظ الساندروا وقال: همام إن حياة وسكن المدن تختلف عن الريف، وسوف تتعود على ذلك، أما الآن فتعال معي لأريك غرفتك، وأخذ الساندروا إلى إحدى الغرف وقال له سوف أتركك اليوم ترتاح وسوف نبدأ برنامجنا غدًا، على فكرة الطعام سوف يكون الساعة السادسة مساءً، أوه عذرًا، أقصد عند غروب الشمس..

جلس همام وهو يشعر بالغربة، فكل شيء حوله غريب، سرير النوم والفرشة التي على السرير والغرفة بشكل عام، إضافةً إلى المنزل، فلم يتعود النوم فوق سرير أو في مكان كهذا وشعر كأنه في سجن، عند ذلك تنهد وقال الله يسامح من كان السبب... ولم يخرج من هذا

العبء إلا عندما ذهب بفكره بعيدًا إلى وادي الظل، وسكانه هناك وبيئته التي عاش فيها، ومر الوقت وهو على هذه الحال ولم يشعر إلا وباب الغرفة يطرق...وقف همام مندهشًا لا يعرف ماذا يفعل فلم يتعود الجلوس في النهار في مكان مغلق ولم يتعود أن يطرق الباب بطرقات خفيفة، وأخذ يفرك يده ماذا يصنع؟ ماذا يقول؟ وأخيرًا سمع صوت الساندروا ينادى...همام...همام...أجابه على الفور نعم...نعم سيدي، فتح الباب الساندروا وهو مبتسم...قائلًا: كيف حالك؟

همام: بخير سيدي.

الساندروا: جاء وقت الطعام، ألم تر أن الشمس غابت، وعندما خرج همام من غرفته رأى شابًا في الرابعة عشرة من عمره يقف مع الساندروا فقال له الساندروا: هذا ابني انتنيو، ومد انتنيو يده وتصافحا، ثم ذهبوا جميعًا إلى طاولة الطعام جلس الساندروا وطلب من همام الجلوس على أحد الكراسي وقام الساندروا بتعريفه على أفراد العائلة، همام هذه زوجتي الحبيبة سوزان، وهذا ابني قد عرفتك به انتنيو، وهذا ابني الآخر فوريو، وأخيرًا هذه ابنتي الجميلة

روزانا، نظر إليهم وهم مبتسمون وبادلهم الابتسامة، وبدأت السيدة سوزان وضع الطعام في صحن ووضعت أمام كل شخص طعامه، وبدأ الجميع الأكل مستخدمين الشوكة و السكين وهم ينظر إليهم...ولا يعلم ماذا يفعل، وأخيرًا أخذ الشوكة والسكين وصار يضعها في الصحن ثم يديرها، ولاحظ أن انتنيو وفوريو وروزانا يخفضون رؤوسهم ولا يحاولون النظر إليه لإخفاء ابتسامتهم...عند ذلك تدخل الساندروا وقال: همام...يجب عليك معرفة الآتي:

أولاً: أن جميع من يجلس حولك هم عائلتك.
ثانياً: أنك في بيئة جديدة مختلفة وأنت طالب فيها، وللعلم لقد عايشنا هذا الوضع أنا وأخي جينكارلوا عندما وصلنا وادي الظل، وتصادقنا مع أبيك وفراج وعواد، فكان كل شيء بالنسبة لنا غريبًا، طريقتهم في الكلام معاملتهم، طريقة عيشهم، ولكننا تعايشنا مع ذلك الوضع وأصبحنا مثلهم، لذا يجب عليك أن تنظر لما حولك بشكل طبيعي، وسوف يكون كل هذا ماضيًا بالنسبة لك...وبدأ يعلمه كيف يستخدم الشوكة و السكين في الأكل، وطلب من روزانا الأكل

بيدها وعمل معهم مسابقة الذي ينهي طبقه أولاً هو الفائز، وكان مشهداً ضحك منه الجميع وخفت هذه المسابقة من الحرج الذي كان عند همام، وأصبح طبيعياً، ونام تلك الليلة نومة هادئة.

وفي الصباح اصطحبه الساندروا إلى مزارع البن وشرح له عملهم وكيفية جني البن وفرزه وتعبئته وتخزينه وأخيراً طريقة تصديره، ثم اتجه به إلى مكتبه وعرفه على الموظفين وأخبره عن أعمالهم، وما يقومون به وقال: إن عملك المستقبلي هو في مجال البن، ولن يكون عملك مع العمال، بل ستكون موظفاً في مجال التسويق، لذا سوف تلتحق بمعهد لتتعلم الانجليزية، وبعد هذه الجولة الممتعة رجعا إلى المنزل...ورأى همام كوخاً صغيراً في حديقة المنزل فطلب من الساندروا أن يسكن في هذا الكوخ...فرفض الساندروا وقال إنك أحد أفراد العائلة ويجب أن يكون سكنك داخل المنزل، فقال له همام أعلم ذلك ولكنني سوف أرتاح كثيراً لو سكنت في هذا الكوخ، عند ذلك قال له الساندروا سوف أقوم بعمل صيانة له ومن ثم تنتقل إليه...ولكن بالنسبة للوجبات سوف تشاركنا فيها.

مرت الأيام وتفاجأ همام الساندروا وعائلته بسرعة إتقانه الإيطالية، والتي اكتسبها من عائلة الساندروا والانجليزية التي اكتسبها من المعهد وفوق ذلك تعلم اللغة الأمهرية، وكل ذلك خلال عامين تقريبًا، وكانت المفاجأة الكبرى حصوله على دبلوم التسويق بدرجة امتياز، رغم أنه كان يقوم بمساعدة الساندروا في أوقات فراغه، وأصبح الساندروا يعتمد عليه في القيام بأعمال الإشراف والتنسيق، وأصبح يقوم ببعض الأعمال التي تتطلب السفر إلى المصوع والإشراف عليها، حيث يقوم بزيارة والدته وزوجته وعمه فراج، مما أسعد السيد الساندروا .

ومرت السنتان تباغًا وأصبح همام الرجل الثاني في الشركة بعد الساندروا ، فقد أحبه السكان المحليون و الذين كانوا يعملون في مزارع البن لصدقه وأمانته، وحبه لهم وتعاونهم معهم، وأصبح يحل جميع المشاكل التي تواجه الشركة و التي كانت تصعب في بعض الأحيان على السيد الساندروا وابنه...وكانت دهشة السيد الساندروا عندما لاحظ أن علاقة همام لم تقتصر على السكان المحليين بل وصلت إلى التجار في الدول الأخرى المجاورة فأصبح اسمه يمثل

الأمانة والصدق والوفاء مما جعل الساندروا يأخذه معه في رحلاته الخارجية لعمل الاتفاقيات في القاهرة وسنغافورا وباريس ولندن وأوربا...وفي إحدى هذه الجولات تقابل الالساندروا مع رجل أعمال يُدعى رفائيل في أحد فنادق روما، وأخذا يتحدثان عن التجارة والأعمال فسأله الساندروا ما هي مشاريعك الجديدة؟
رفائيل: لهذا السبب طلبت مقابلتك، إنه مشروع مذهل إنه منبع للذهب ولكنه مليء بالعوائق.

الساندروا: وما هو؟

رفائيل: لقد أنشأت شركة تُدعى (d - n - s) "مصادر الطبيعة في الصحراء" وعَمَلُنَا يعتمد على النباتات الصحراوية، وكذا بعض الزواحف و التي نستخرج منها عقاير خام نرسلها إلى سويسرا وأمريكا وبعض الدول الأوروبية ولقد أبرمنا عدة اتفاقيات ولكننا حقيقةً غير قادرين على الوفاء بمتطلباتهم فأنت تعلم أننا نعتمد على النباتات الصحراوية وهي موسمية وتعتمد على الأمطار.

همام: موجهًا كلامه لرفائيل، ألا يمكن عمل شتلات لهذه النباتات واستيلاد هذه الزواحف في مكان محدد.

نظر رفايل إلى همام... ولاحظ الساندروا هذه النظرة فقال: أوه نسيت أن أعرفك يا بني، همام إنه من أهل الصحراء وقد يفيدك كثيرًا. رفايل: لا أعلم إن كانت هذه النباتات يمكن عمل شتلات منها، ناهيك أنها تحتاج مناخًا

صحراويًا وماءً وهذه مشكلة الصحراء.

همام: المناخ الصحراوي والماء متوفر وكذلك مجموعة كبيرة من النباتات والزواحف الصحراوية.

رفايل: تقصد أنه علينا القيام فقط بعمل تجارب على عمل الشتلات وتربية الزواحف.

همام: نعم، هذا ما أقصده.

رفايل: إنها فكرة جيدة.

الساندروا: موجهًا كلامه لهمام، إنك تفكر في الوادي؟

همام: مبتسمًا... نعم...!

الساندروا: موجهًا كلامه لرفايل، سوف أشارك في النفقات على هذا المشروع بشرط أن يكون همام شريكًا لك فيه.

رفايل: ليس لدي مانع، ألم أقل لك إنه منجم للذهب؟

الساندروا: إذا نعقد اتفاقية تقوم أنت بتزويدنا بالخبراء ونحن نقوم بالباقي.

رفائيل: على بركة الله... على كل حال متى ستغادرون؟
الساندروا: بعد غدٍ.

رفائيل: سوف أجهز الأوراق، وأجهز عددًا من الخبراء لديّ في الشركة لمرافقتكم... واستأذن وخرج.

همام: السيد الساندروا...إنني أعذر عن دخولي في مناقشتك مع رفائيل، كان من باب إعطاء وجهة نظر ولم يكن لشيء آخر...إنني أرفض أن أكون شريكًا له بوجودك...إنني محرج من هذا الموضوع، وأنت كما تعلم بمثابة أبًا لي، أرجوك لا تفسر...قاطعه الساندروا قائلًا: إنني فخور بك يا همام...لقد قدمت إليّ أنت ووالدك الكثير، وأتمنى أن ينجح هذا المشروع لتكون لك شركة خاصة، إن هذا الأمر غير غريب عليّ، لقد كنتُ فقيرًا وأصبحتُ غنيًا بثروة أب زوجتي، أما أنت فلو نجحتُ فكرتُك فقد نجحتَ بمجهودك وما أنا إلا مساند...والمطلوب منك هو التفكير والتخطيط لإنجاح هذا

المشروع، وعلى كل حال فقد سبق وأن أخبرتني أنك عائدٌ إلى الوادي عندما تكون قادرًا على التغيير... أليس كذلك؟

جاء موعد رجوع السيد الساندروا وهمام، وحضر رفائيل ومعه ثلاثة رجال، وكان أحدهم محامي الشركة الذي أبرم العقد بين همام ورفائيل، وقام رفائيل بمصافحة همام وعرفه على الرجلين الآخرين وهما لويس وميخائيل وقال له إن هذين الرجلين سوف يرافقانك ويقومان بعمل دراسة للمشروع، وغادر الساندروا وهمام والرجلان روما، واتجهوا إلى أسمرة وعند وصولهم استأذن الساندروا من همام وقال له الآن أنت في إجازة، اذهب إلى أولادك وسوف أقوم أنا بتجهيز ما تحتاجونه من مؤن، وسيارة ومركب، لتقلك إلى وادي الظل، وسوف يكون لقاءنا بعد ثلاثة أيام في ميناء المصوع.

وصل همام إلى المصوع وأخبر أمه وعمه فراج وزوجته وإخوانه وأبنائه واستبشروا خيرًا ومُلِئَتْ قلوبهم بالفرح فقد اشتاقوا جميعًا للوادي وأهله، وكذلك اشتاق إخوانه وأولاده للوادي رغم أنهم لم يروه من قبل، ولكن شدة حنين أهلهم له والتحدث عنه في كل مناسبة جعلهم يشاقون إليه، لذا فقد طلب همام من أمه وزوجته

الذهاب إلى السوق لشراء الهدايا لذويهم في الوادي لأخذها معهم، وبعد انقضاء الثلاثة أيام قدم الساندروا ومعه لويس وميخائيل في سيارة جيب رانج روفر جديدة وشاحنة فيها المؤن، وأخذوا همام معهم إلى الميناء وهناك نزل الجميع وركبوا السفينة وشحنوا السيارة والشاحنة معهم، وقام الساندروا بتوديعهم، وأخذ همام على انفراد، وقال له لقد جهزتُ لك بعض الهدايا لعوداد ولشيخ القبيلة ستجدها مسجلة بأسمائهم، هدية عواد أخبره أنها من عندي أما هدية الشيخ فأخبره أنها من عندك أفهمت؟ وخرج من السفينة ثم تحركت السفينة تمخر عُباب البحر وتشق مياهه، وعندما وصلت مرفأ الصدف بعد إبحارٍ دام يومين كاملين توقفت وأنزلت حمولتها، وقام همام بركوب السيارة ولويس وميخائيل بركوب الشاحنة واتجهوا صوب وادي الظل، ووصلوا أطراف الوادي عند المساء، وطلب همام من مرافقيه المبيت ودخول الوادي مع الصباح.

ومع طلوع الفجر استيقظ الجميع وأعدوا إفطارهم وتناولوا بعض القهوة، ثم استقلوا مراكبهم متوجهين إلى الوادي وأول ما قصد بيت شيخ القبيلة فوجدوه مع بعض كبار العشيرة جالسين تحت ظل

إحدى الغرف المبنية من الطين يتناولون القهوة وقد كان بيت الشيخ مميزًا عن باقي بيوت القرية فقد كان بناؤه كليًا من الطين، وبمجرد أن توقفت السيارتان

قام الشيخ ومن معه بالترحيب بهم وخرج همام من السيارة الجيب بينما خرج لويس وميخائيل من الشاحنة التي كانت معهما، واتجهوا نحو الشيخ وردوا التحية وتقدم همام وصافح الشيخ، وقال له ألم تعرفني يا شيخ ماضي؟ قال: والله يا بُني الوجه والدم معروف ولكن... وقاطعه همام وقال له أنا همام بن حماد، فقال الشيخ: أهلاً... أهلاً همام تفضل... تفضل يا بُني وقام همام بالسلام على البقية، والذين لم ينطقوا ببنت شفة، ولم يردوا عليه السلام، فهم في دهشة مما يروا لقد خرج همام من القرية صغيراً رث الثياب، وعاد إليهم رجلاً بالغاً مشبعاً وجهه بالحمرة وثياب نظيفة غير مألوفة لديهم، ونظارة سوداء تحجب عينيه عنهم، ورائحة العطر تفوح من ثيابه وجسده... وبدأوا يتساءلون في أنفسهم همام أين ذهب؟ ولماذا أتى؟ ومن أين..؟ وقطع تسأولهم صوت همام عندما قال: يا شيخ إن أول زيارة أقوم بها للوادي هي زيارتك أنت، وأريد أن أستأذنك لزيارة

بيت خالي وعمي عواد، وكذلك أستاذك في قيام هؤلاء الخواجات وهما لويس وميخائيل بجولات في الوادي لعمل دراسات على نباتاته لأنهم بصدد عمل مشروع يقدم لك ولأهل الوادي خدمات جليلة إذا اختاروا الوادي كموقع لمشروعهم... كما وأني أنقل لك تحيات السيد الساندروا.

الشيخ: الساندروا...ذلك الشاب الطلياني.

همام: نعم هو، إنه الآن يملك مصانع وشركات كثيرة.

الشيخ: حياك الله يا بُني.

وقام همام وذهب إلى سيارته وأحضر منها هدية الشيخ والتي جهزها الساندروا، وهي عبارة عن حقيبة وضع فيها علب حلويات وسكر وشاي وقهوة وساعة يد وبعض الأقمشة، فقد عاش الساندروا معهم وعرف احتياجاتهم، وقدمها للشيخ والذي فرح بدوره بهذه الهدية وهذا الاهتمام...وطلب همام الاستئذان منه فقام الشيخ بإعطائه الإذن ولمرافقيه وقال: سوف يكون غداؤك عندي أنت ومرافيك، وافق همام على دعوة الشيخ وركب سيارته...وتوجه نحو بيت خاله والشاحنة تتبعه...وانتشر خبر قدوم همام في الوادي كانتشار النار في

الهشيم، وبدأ الجميع يتحدثون عن شكله وسيارته ورائحته وملابسه والمرافقين له، فتجمع الأطفال حول سيارته والشاحنة التي كانت ترافقها عند منزل خاله ووقف البالغون والنساء ينظرون من بعيد يمنعهم الحياء من الاقتراب، سمع عواد بخبر عودة همام وأنه عند خاله فأسرع إليه وتقابل همام وخاله والعم عواد وأخذوا يتعانقون ويكون من شدة الفرح...وبدأ كل من عواد وخاله يسألون عن البقية فقال: أمي بخير ولقد أنجبت ثلاث بنات وأخ هم الآن

إخواني وكلهم بخير وعافية ونظر إلى عمه عواد وقال ابنتك فاطمة تقرئك السلام ولقد أنجبت لي ثلاثة أولاد، الحمد لله فلقد أصبحت لي عائلة، أخ وأخوات وأبناء والفضل بعد الله لكم.

بارك الله فيكم...وسوف يحضرون جميعًا إن شاء الله إليكم، ثم جلس عواد وبدأ يبكي بشدة ويتمتم...الحمد لله...الحمد لله...وتركهم همام وذهب إلى السيارة واستدعى أبناء خاله، وأحضر الهدايا وقام بتوزيعها على خاله...وقال لعمه عواد إن هديتك في السيارة

هديتي وهدية الساندروا لك، فقال خاله والعم عواد معًا هديتنا يا بُني هي أنت وسوف تكتمل هديتنا بحضور عائلتك بالسلامة...وقام

همام بإخراج صور تجمع أمه وإخوانه وأبنائه وعمه فراج وقدمها إلى خاله وعمه مما أدهشهم، فهم لم يروا صورًا فوتوغرافية من قبل وأخذوا ينظرون إليها متعجبين وبدئوا يسألونه من هذا ومن ذلك، وذهب كل واحد منهم على جنب ويقلب الصورة فمرة ينظر إليها ومرة إلى خلفها، وأخذ همام يراقبهم هو ومرافقوه، والابتسامة تعلوا محياهم.

ثم استأذن همام خاله في أن يقوم شداد بن خاله البكر بمرافقة لويس وميخائيل وأخذهم في جولة على الوادي، والمنطقة بشكل عام، واتجه نحو لويس وبدأ يكلمه الإيطالية وبطلاقة أثارت إعجاب خاله وعمه عواد وأبنائهم مما أدهشهم، ثم أعاد النظر إلى ابن خاله شداد وقال له بعد أن تنتهي من جولتك أحضرهم إلى منزل الشيخ فنحن مدعوون عنده للغداء، وأخذ شداد لويس وميخائيل وخرجوا...وعندها استأذن همام من خاله للذهاب مع عمه عواد للسلام على عمته وأخبرهم أنه توجه أولاً لبيت الشيخ وذلك لطلب الساندروا منه فعل ذلك، فكان من المفترض زيارتكم أولاً، فقال عواد: إن الساندروا رجل حكيم، وخيرًا ما عملت.

ومد همام يده إلى عمه وخرجا من منزل خاله واتجهوا إلى السيارة والتي كان يحوم حولها الأطفال وترقبها الأعين من قريب ومن بعيد، وفتح باب السيارة وطلب من عمه الصعود...وقاد السيارة باتجاه منزل عمه، وعمه عواد ينظر حوله داخل السيارة ويتحسس بيديه وقدميه هذه الآلة العجيبة المريحة...فقد سبق وأن ركب سيارات من قبل ولكن لم تكن بهذا الشكل وهذه الراحة، فقد كانوا يستقلون شاحنات تحضرها وكالة مكافحة الجراد...وصل همام إلى منزل عمه وسلم على أم زوجته وأبنائها وقدم لهم الهدايا بينما قام عواد بإعطاء الصور التي في حوزته إلى زوجته ويشير إلى الصورة ويقول هذه ابنتك فاطمة وهؤلاء أولادها...والأم تنظر إلى الصورة وتقبلها وتبكي...وجلس عند عمه حتى الظهيرة، ثم أخذ عمه وخاله واتجهوا إلى منزل الشيخ، وفي طريقهم مروا على الشيخ رزق إمام المسجد وسلم عليه وقدم له بعض الهدايا.

وصل همام ومن معه إلى دار الشيخ ووجد أمامه لويس وميخائيل وحيا الشيخ همام وخاله وعادوا...وبعد ذلك وجه الشيخ سؤالاً لهمام قائلاً، قلت لي إن هؤلاء الخواجات جاءوا من أجل مشروع ولكني لم

أفهم، ممكن توضح لنا ما هو المشروع..؟ ولماذا اختاروا وادينا بالذات؟

همام: نعم، إنهم يستخرجون من النباتات الصحراوية ومن بعض الزواحف مواد يستخدمونها فيه صنع بعض الأدوية... ولقد اختاروا وادينا لكثرة أعشابه وزواحفه، ووجود الماء فيه والماء هو السبب الوحيد لإختيار هذا الوادي لأنهم يريدون تجربة زراعة هذه الأعشاب ومحاولة استيلاء هذه الزواحف، فالسيد لويس اختصاصي أو عالم نباتات، بينما ميخائيل عالم زواحف، ولو نجحت تجربتهم سينعم الوادي وأهله بالخير الكثير.

الشيخ: أتمنى نجاحهم فقد كثر الفقراء في الوادي، وأصبحت الحياة فيه صعبة يا بُني، وفي هذه اللحظة التفت عواد إلى عمران والذي كان في قربه وقال: أسمعت كلمة الشيخ ماضي لهمام "يا بُني"... ابتسم عمران وقال لعواد: اسكت... اسكت، فلما حضر الغداء قام الشيخ بالترحيب بهم ودعوتهم لتناول الغداء على شرف همام ومرافقيه.

جلس همام ومرافقوه لمدة ستة أشهر في الوادي فقد انشغل همام ببناء دار كبيرة محل دار أبيه وقد بناها بالحجر والطين مستخدمًا عمالاً من الوادي، بينما انكب لويس وميخائيل على معاينة الوادي وعمل تجاربهم... والشيخ وأهل القرية يدعون الله أن يجد الخواجات ما يريدونه، فهم يفكرون في الخير الكثير الذي وعدهم همام به إذا ما نجحوا... وبعد هذه المدة جاء لويس وميخائيل إلى همام فرحين، وقالوا لقد نجحنا... لقد نجحنا، إن الوادي وسفوح الجبال مليئة بأنواع معروفة وغير معروفة من النباتات والزواحف، وقد تمكنا من عمل شتلات كثيرة منها، كما أننا استطعنا استيلاد أنواع كثيرة من الزواحف... ولكن تواجهنا مشكلة؟

همام: وما هي المشكلة؟

لويس: رغم أن الوادي يقع في منطقة صحراوية إلا أن نسبة الرطوبة في تربته عالية، وذلك لوجود الأحراش التي لا تمكن ضوء الشمس من الوصول إلى التربة، وقد تنفع هذه الرطوبة للسحالي وبعض النباتات، لذا يجب أن نجد حلاً لارتفاع هذه الرطوبة.

همام: وما هو الحل؟

لويس: يجب التخلص من بعض الأشجار، إضافةً إلى "الأجمة" وذلك للتخلص من الرطوبة، و لترك مساحات لزراعة الشتلات، وكذلك عمل سد عند مدخل الوادي لتجفيف الأرض، والاستفادة من الماء المهدور.

همام: إن كل ما تطلبونه يمكن تحقيقه، ولكن أريد منكم إجابةً واحدةً لسؤالي...، هل أبدأ بالتفاوض مع الشيخ وأهل القرية فهذه الأرض تخصهم، ولا يمكن عمل أي شيء إلا بإذنٍ منهم؟
لويس: نعم، ابدأ التفاوض..

همام: إذاً هيا معي إلى الشيخ وأهل الوادي لنبدأ التفاوض.
وصل همام ورفاقه إلى دار الشيخ، وطلب همام منه أن يجمع أهل القرية بعد أن بشره نجاح المشروع واختيار الوادي كمُنطقة عمل له، وبعد أن تجمع سكان الوادي بدعوة من الشيخ، و اكتمل الحضور بدأ همام حديثه..

يا أهل الوادي لقد تم اختيار واديكم لعمل مشروع ضخم فيه وسوف يوفر هذا المشروع عملاً لكل فرد فيه، وبأجور مغرية، وكما تعلمون فإن أراضي الوادي هي ملك لكم، فلا يمكن أن تقيم الشركة المسئولة

عن هذا المشروع مشروعها في أرض ليست ملكها، أو مستأجرة من قِبَلِها، فهي تريد أن تبدأ عملها في منطقة تمتلكها أو تستأجرها حتى ينسى أن لها العمل بدون تدخل أحد... فمن أراد البيع أو التأجير للشركة فإن موعدنا بعد غد في هذا المكان، وسوف تتقاضون أسعارًا ترضيكم... وإذا ما تم ذلك فإن واديكم مقبلٌ على خيرٍ كثير، وسيجدُ كلُّ فردٍ منكم عملاً فيه، وسوف تنتهي معاناتكم، فقام رجل وقال بكم تشتري منا يا همام؟

ابتسم همام وقال: موضوع البيع والشراء سوف تناقشونه مع الشيخ، وسوف نتفق معه على القيمة المناسبة للبيع أو الإيجار، وهذه اللفتة أسعدت الشيخ... وبعد أن انتهى تفرقوا ثم جلس الشيخ وهمام ومعهما لويس وميخائيل، واتفقوا على تسعيرة لكل قطعة، حُدد طولها وعرضها بمقياس أهل الوادي، وهي بعدد الخطوات، فلم يكن للقياس بالمتري حاجة، فهم يكرهون التغيير والتغير يعنى المجهول، لذلك فهم يخافون منه.

واتفقوا على سعرٍ أرضى الشيخ، واعتقد أنه غلبهم فيه، وكانت التسعيرة بالنسبة لهمام ولويس وميخائيل أمراً يسيراً... فقام الشيخ

بإعلان التسعيرة لمن يريد أن يبيع أو لمن يريد أن يؤجر فتهافت أهل الوادي على بيع أراضيهم بينما طلب عواد ورزق والشيخ التأجير وقام همام بتدوين ذلك بشهادة الشيخ وعمه عواد ورزق، وأصبح الوادي بأكمله تحت تصرف همام، فقام بإرسال رسالة إلى الساندروا يخبره بكل صغيرة وكبيرة حدثت معه، ومرفقًا الرسالة بقائمة طويلة لاحتياجات لويس وميخائيل.

وصلت الرسالة إلى الساندروا، والذي بدوره أخبر رفائيل عن الخبر السار وأرسل له القائمة التي طلبها لويس وميخائيل، وبعد ذلك قام همام باختيار ثلاثة من شباب القرية، وهم شداد ابن خاله ورافع ابن الشيخ وساعد ابن عمه عواد، ووضعهم تحت تصرف لويس وميخائيل، ليعملوا كمنسقين بينهم وبين العمال الذين تم اختيارهم من أهل القرية، وبدأوا بإزالة أشجار الدوم والسرّح والأعشاب التي بينها، والتي لم تكن ليستفاد منها في يوم من الأيام، لا الإنسان ولا الحيوان، وإنما كانت ملجأً للشعابين بأنواعها

والأفاعي والعناكب السامة، التي أضرت بالوادي وجعلت أهله يعيشون في خوف دائم مع أي حركة داخل الوادي...والإبقاء على

بعض الأعشاب المفيدة وأشجار السمر التي كانت توفر الظل والخطب لسكان الوادي... فخرجت جميع الدواب الضارة نتيجة لهذا العمل، واتجهت صوب الجبال ونُظف الوادي، ورأت أرض الوادي النور بعد أن كانت لا تراه، وتخلصت التربة من التخمير الناتج عن الرطوبة الزائدة، وتفككت وتمددت فاختلف لونها.

وطلب لويس وميخائيل من العمال حمل جذوع الدوم والسرحد "والأجمة" إلى مدخل الوادي لعمل السد، والذي تم بناؤه بهذه الأشجار والأعشاب، إضافةً إلى الأحجار والرمل، فأصبح الوادي محميًا من الفيضانات التي عانى منها سكان الوادي، وبدأوا بحفر الآبار على جانبي الوادي، وتجميع البذور من بعض الأعشاب وعمل بيوت تحاكي بيوت السحالي من أنفاق وصخور... وتم عمل سياج عليها وجمعت السحالي للإستيلاد، وتم توفير مستلزماتها من الأشياء التي تقتات عليها، وما كادوا ينتهون من هذه الأعمال حتى وصلت الشاحنات تحمل معها المعدات التي طلبها كل من لويس وميخائيل، وهي عبارة عن مولدات للكهرباء ومختبرات ومواد لبناء المصنع إضافةً إلى مواد أخرى.

يرافق هذه الشاحنات مهندسون وبنائون وأخصائيون، فأصبح الوادي مثل خلية النحل وأصبح سكان الوادي إما عمالاً مشاركين في هذه الخلية وهم الشباب، وإما أناساً متابعين بنظرهم لما يحصل في هذا الوادي وهم كبار السن والنساء والأطفال، الذين أثارتهم هذه الحركة والتغيرات السريعة ومنهم الشيخ الذي كان يتنقل من الصباح حتى الغروب مندهشاً مما يحصل في الوادي، وفي إحدى تنقلاته قابله همام وقال له: لقد علمتُ أنكم بصدد بناء دورٍ لكم فوق التلة المطلة على الوادي لك ولأهل القرية.

الشيخ: نعم هذا صحيح.

همام: إذاً فما رأيك لو جعلتُ أحد المهندسين يخطط لكم القرية لتكون طرقاتها فسيحة ومنظمة، فالشركة تفكر في إيصال الكهرباء والماء لكم بدون عناء.

الشيخ: وما هي الكهرباء؟

همام: إنها...إنها...إنارة لن تحتاجوا للقناديل بعد اليوم.

الشيخ: كهرباء...؟ تخطيط...؟ لا أعلم ما تقول يا بُني، افعل ما تراه مناسباً.

همام: إذا سوف أرسل المهندس لكم، فقط أريدك أن تخبره عن الموقع الذي تريده لبناء دارك، إضافةً للمواقع التي تُريدون بناء دور العبادة فيها.

الشيخ: حسنًا... حسنًا يا بُني افعل ما تراه.

مرت الأيام تباعًا واكتمل بناء المصنع والبلدة واشتغلت مولدات الكهرباء وأضأ الوادي وذهب الظلام، وحضر السيد رفائل وقص الشريط لبدأ الإنتاج، وأصبح الوادي يعج بضجيج الشاحنات الداخلة والخارجة منه وإليه، وأصبح سكان القرية منهمكين في العمل، والاستفادة مما يكتسبونه بتطوير أنفسهم، والبحث عما يفيدهم فأصبحت تجمعاتهم قليلة ومواضيعهم محددة فلم يعد الكلام العام يستهويهم، ولم تعد أمور الناس تعنيهم، فالوقت المتوفر ضيق لا يتسع لأُمور أصبحوا ينظرون إليها أنها واهية، وعندما رأى همام أن الأمور أصبحت على ما يرام قرر إحضار عائلته من المصوع وكان عليه قبل التحرك خطوة أخيرة، هي نشر خبر قدومه مع عائلته وإخوانه ووالدته وعمه فراج، هذا السر الكبير الذي لم يعلم عنه أحد، ولم يسأل عنه أحد رغم أن جميع أهل القرية كانوا

يتساءلون عنه وعن والدته ، وماذا حصل لهم، ولكن كان يمنعهم أن همام وأمه كانا يعتبران عارًا على العشيرة وليس من المفترض السؤال عنهم، فهم في نظرهم من سقط المتاع.

فذهب همام واجتمع بخاله وعمه عواد والشيخ رزق، وطلب منهم بأن يكشفوا لأهل الوادي جميع ما حصل في الماضي وأن يخبروهم بكل شيء فلم يعد من المناسب تأخير هذا الخبر، وليكن قبل قدومهم إلى الوادي، منعًا للإحراج وأن يتقبل سكان الوادي الوضع قبل وصولهم، وخرج همام من الوادي متجهًا إلى المصوع وانتظر الشيخ رزق الوقت المناسب وهو يوم الجمعة، يوم التقاء جميع أهل القرية، وبعد انتهاء الصلاة وقف الشيخ رزق وطلب منهم الجلوس موضحةً لهم أن لديه خبرًا يجب على جميع سكان الوادي الاستماع إليه... فجلس الجميع.

ثم قال: لقد خرج همام من الوادي متجهًا إلى المصوع ليحضر زوجته وأمه وزوجها... إن زوجة همام هي فاطمة بنت عواد و التي هي معروفة لديكم أنها ماتت منذ ستة عشر عامًا، و زوج أمه فراج، ولقد رُزق همام من زوجته بثلاثة أولاد أكبرهم عمره أربعة عشر عامًا ولقد

رُزق فراج من أم همام بثلاث بنات وولد...ولقد قُمت أنا بتزويجهم قبل ستة عشر عامًا لأنني لم أر أن الدين يمنع من ذلك، فقط كانت عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يكن همام أو فراج من قام بمخالفة هذه العادات، فقد كانا ضحايا لتصرف أهلهم، فقد زوج حماد أبو همام أخته لرجل غريب عن القرية وقد عمل فراج في الجزارة، ورغم ذلك فقد وافقت على تزويجهم عندما علمت أنهم لن يجلسوا في الوادي، وأنهم خارجين عنه، وقد حدث هذا الأمر بيني وبين عواد و عمران وقد حدث ما حدث وعاد همام إلى أهله وآثرهم عن غيرهم لحبه لكم ولوالديه وأرضه التي عاش فيها، ولقد بنى بيته بعيدًا عنكم في الوادي الذي أحبه وهو قادم بعائلته خلال أيام فإن كنتم ترغبون به فأسكنوه بينكم وإن لم ترغبوا فهو بعيد عنكم...وسكت الشيخ رزق بعد هذا الخطاب...ثم قال: بإمكانكم الآن الانصراف.

بعد ذلك قام شيخ القبيلة وقال بصوت منخفض: قبح الله وجهك. ومضت الأيام متسارعة ولم يعد في كلام أهل الوادي غير موضوع همام وفراج وموعد وصولهم إلى الوادي، ولكن هذه المناقشات

كانت تدور في البيوت فقط، فمن غير المقبول مناقشتها أو التحدث عنها بين العموم، فأصحاب القضية هم "عار وخزي على العشيرة"، وتخوف عواد ورزق من أن يُصدر أهل العشيرة ضدهم أي قرار لتصرفهم، ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل، فالوقت والزمن تغير حتى المكان، ولم تعد النظرة للأمور كما كانت في السابق، فما كان يهم أهل القرية هي أشكال القادمين وأموالهم...وكيف يتعاملون مع عالمهم الجديد...ومرت الأيام ثقيلة على أهل الوادي، مع كونهم كانوا متشوقين لرؤية هذه العائلة التي تركتهم وجازفت لتخرج منهم مشردة ضعيفة ولتعود مستنيرة تنير الوادي وتحضر له الخير بتواضع وتعود إلى أرضها غير آبهة لرؤية سكان الوادي والذين ما زالوا ينظرون إليهم نظرة الخزي والعار، رغم أن هذه التقاليد والعادات لم تقدم للوادي ولا لأهله أي شيء إلا مزيداً من القيود والعراquil لوقف أي أمل أو أمر جديد.

وجاء اليوم الذي تطلع إليه الوادي وأهله وحضرت عائلة همام وفراج إلى الوادي في سيارتين يقودهما همام وفراج ودخلتا الوادي وتوقفتا عند الدار التي بناها همام وأسرع عمران وعائلته وعواد وعائلته

لاستقبالهم فقد حرص همام على عدم دخول القرية التي بُنيت حديثاً كي لا يخرج عمران وعواد.

بدأ أهل القرية يلاحظون ما عليه أهل همام وفراج وأهله من النعيم والأبهة والأخلاق الفاضلة والتواضع والجمال خاصةً بنات فراج وأصبحوا يتحدثون عن جمالهن وطريقة تحدثهن، ولباسهن وتسريحة شعورهن، وافتتن الشباب بهن، وقد كان ابن الشيخ أحد هؤلاء الشباب ولذا نقل حبه وافتتانه وإعجابه بأحد بنات فراج لأمه ولقد تأثرت أمه بهذا الخبر وأخبرت ابنها أن موافقة أبيك على الزواج بها تعتبر من المحال، ففراج وهمام وأمهم يمثلون العار، وإن أي اتصال بهم يعتبر منافياً لعادات وتقاليد القرية، ولما انتهت أمه من حديثها رد عليها قائلاً: لكنني معجب بها وهي لم تقترف ذنباً وأنت وأبي دائماً تحثونني على الزواج... نظرت الأم إليه وقالت: نعم نحن نتمنى أن تتزوج، ولكن من بنات فراج هذا من سابع المستحيلات، أتريد أن تفقد مركزك، أتريد أن تتحول من شيخ إلى مشرد؟

الابن: ماذا تقولين؟ عن ماذا تتحدثين؟ عن أي شيخ، ألا ترين أننا نعمل لدى همام وفراج...المشردين لقد خرجوا من دياركم مشردين، وأصبحوا مُلّاگانحن نعمل لديهم...وأبي يسعى لرضاهم .

الأم: إذا اذهب إلى أبيك وحدثه بما حدثتني به.

الابن: لن أتحدث مع أبي، لأنّي لن أتعلم رفضه...وأنت بإمكانك تسهيل مهمتي.

الأم: أنا؟ ماذا تقول؟ أتريد أن يطلقني أو أن يقتلني؟

الابن: بإمكانك إخباره، ومحادثته في الوقت المناسب.

الأم: يا بُني...فتيات القرية كُثر وإمكانك اختيار أجمل من فيهن.

الابن: ماذا تقولين؟ لا أريد إلا هذه الفتاة، وأنا مقتنع بها، وكما أخبرتك لا أريد غيرها، ولولا خوفي من أن أعصى أبي لكلمته بنفسه...ألا تستطيعين تقديم هذه الخدمة لي، لأنني أكره أن أواجه أبي.

الأم: وإذا رفض ماذا تريدني أن أفعل؟

الابن: سأقدم لخطبتها بنفسه.

الأم: ماذا..؟ أجننت...؟ ألهمه الدرجة تريد أن تباع كل شيء من أجل هذه الفتاة.

الابن: والله لو كان بها عيب أخلاقي لكان كلامك منطقيًا، ولكن تكلميني عن عادات بائسة...زوّج غريب...عمل جزّارًا...ماذا تقولين؟ انظري حولك...القرية مليئة بالعائسات والفقراء، ماذا تقولين؟ لقد تصرف حماد وفراج التصرف الصحيح، وانظري إلى أبنائهم، لقد رفضوا هذه الأفكار الفاسدة، لقد زوج حماد أخته من تحب، ولقد عاش فراج ولم يمد يده لأحد، وانظري لذريتهم إنهم الأجمل والأذكى والأكثر ثقة بأنفسهم.

الأم: والله لا أعلم ماذا أقول...وكل ما قلته يا بُني صحيح، لقد ظلم المجتمع حمادًا وزوجته، وظلموا فراج...لقد عانوا كثيرًا...ويعلم الله أنهم كانوا من أخير الناس وأطيبهم..وليعينني الله على إقناع أبيك.

خرج الابن وانتظرت الأم حضور زوجها وهي تقول: كيف أقنعه؟ كيف...كيف أحطم عادات كان عليها أسلافنا؟ كيف بي فأنا ضعيفة؟ وكيف بوسع زوجي المسكين تحطيمها؟ وبينما هي كذلك

دخل عليها زوجها ولاحظ شرود ذهنها، فقال لها: فيم تفكرين؟

الأم: يا شيخ هل أغضبتك في يوم ما، أو عصيتك في يوم ما؟

الشيخ: لماذا هذه المقدمة؟ أدخلي في الموضوع ماذا بك؟ خير!

الأم: إن الموضوع الذي أريد أن أحدثك فيه يحتاج منك التريث قبل اتخاذ قرار فيه .

الشيخ: يا امرأة ما بكِ؟ أدخلي في الموضوع، لقد شغلتنني.

الأم: ابنك رافع.

الشيخ: ماذا به... هل حدث له مكروه؟

الأم: خير... خير إنه موضوع زواج ابنك، يريد أن يتزوج.

الشيخ: وهل هذا الخبر يحتاج لكل هذه المقدمات، ماذا دهالكِ..؟ إنه

لخبر مفرح، ابنة من يريد..؟

الأم: قالت على خوف وتردد.. ابنة فراج .

الشيخ: ماذا قلت..؟

الأم: هذا الموضوع الذي ترددت في محادثتك به.

الشيخ: وكيف سمحتِ له بمحادثتك بموضوع كهذا؟

الأم: ولكنه يحبها.

الشيخ: إذا أنت تؤيدينه، وتأتين إلي بالأعذار .

الأم: ماذا تقول، إن ابنك يمثلك في كل شيء... لقد عاش في كنفك،
تطبع بطباعك، في حبك وكرهيتك، عنادك... وكلامي هو من باب
الخوف عليه و عليك.

الشيخ: وماذا تقصدين بالخوف علي وعليه؟

الأم: لقد هددت إن رفضت زواجه، سوف يخرج من القرية بدون رجعة.
الشيخ: إلى جهنم.

الأم: ماذا دهاك يا رجل إنه ابنك الوحيد.

الشيخ: ابني الوحيد يضع أنفي في الرمل.

الأم: لقد قال لو أنه في الفتيات عيب يعارض الدين والأخلاق من
العار عليه التقدم لهن، ولكنها عادات بالية، هذا منطق ولدك، انه
منطق ابن الشيخ خير الرجال... أرجوك فكر في الأمر.

لقد طلب مني أن أحدثك لكي لا يواجهك ولا يسمع ما لا يرضاه
ويعلم أنك لو قتلها لن تتراجع عنها.

الشيخ: أرى أنك تحاولين إقناعي؟ الأم: ولم لا؟ انظر حولك، إن
الوادي يتغير، لقد دخل التغير في كل شيء من أمور الناس، فقد

غيروا مهنتهم ولباسهم حتى طعامهم والعادات سوف تكون ثقيلة
ومن الصعب المحافظة عليها، فابدأ التغير من عندك.

الشيخ: أتريدون أن أكون مضحكة لعشيرتي؟

الأم: إن عشيرتك ضاقت ذرعاً وكرهاً بهذه العادات، لقد عانوا منها
كثيراً لقد أفسدت حياتهم... أرجوك ابحث عن حل؟

الشيخ: أي حل...؟ لقد... لقد حارب أجدادنا من أجلها، لقد طردوا
أناساً أكثر من الوادي ومنع التعامل معهم آخرهم حماد وفراج.. ماذا
سيقولون الآن لو طلبت يد ابنة فراج لابني؟

الأم: هناك حل.

الشيخ: وما هو...؟

الأم: بإمكانك القول لهم إن الوادي بأكمله أصبحت أرضه إما مملوكة
أو مؤجرة لهمام وفراج والخوف من أن تنتقل هذه الأرض إلى الأغراب
لو تزوج بنات فراج من أناس خارج العشيرة.

الشيخ: إنها فكرة جيدة وما تقولينه حقيقة، إنني لم أفكر في هذا،
ولكن هل تعتقدون أنهم سوف يقتنعون بهذا؟

الأم: نعم، فكما قلت أنت إنها حقيقة وثانيًا لقد اقتنع بها سيد الرجال، وأيضًا هم في أمس الحاجة لهذا، فبيوتهم مليئة بالعانسات. الشيخ: في الحقيقة أنا خائف.

الأم: توكل على الله.

الشيخ: توكلت على الله.

طلب الشيخ من كبار عشيرته الاجتماع بهم في وقت معين، فلما اجتمعوا بادروهم بالقول: لقد عم التغير في وادينا، فأصبحت المحافظة على أشياء كثيرة كانت مألوفة لدينا غاية في الصعوبة، فما نراه ونسمعه غير الذي كنا نراه ونسمعه من قبل، والخوف كل الخوف من أن يجاورنا أناس أغراب عنا وعندها تكون الكارثة...ويختلط الحابل بالنابل...إن همامًا وفراجًا كانا عارًا على هذه العشيرة، ولكنهم مألوفون لدينا، فهم أبناء عمومتنا ولقد لاقوا جزاء فعلتهم، ولكن لكم أن تتخيلوا لو عُوقبت ذريتهم بنفس عقاب أهلهم فسوف يتزوجون من أغراب، وكما تعلمون أن الوادي بأسره أصبح أرضًا مملوكة أو مؤجرة لهما، سيصبح أبنائنا وأحفادنا عبيدًا لدى الأغراب، وهذا شيء لا يرضيني ولا يرضي أي عاقل فيكم، لذا قررت

أن أبدأ أنا بهذا التغيير وأتقدم للخطبة من إحدى فتيات فراج لابني وسوف تقومون أنتم بالمثل، ولكن إن لم توافقوني الرأي فلن أنفذ هذا القرار، ولا تنسوا أن مشكلة حماد وابنه وفراج لم تكن في دينهم ولا في أخلاقهم إنما كانوا ضحايا عادات وتقاليد وافقت أهواء أجدادنا كانت لها حكمة هم علم بها، ولأن المصلحة والحكمة الآن تقتضي غير ذلك فلا بد لنا من البحث عن مخرج من هذه المشكلة وقد ذكرته لكم، ثم سكت الشيخ... ونظر إليهم وقال: هاه ماذا ترون؟ فردوا أنه نعم الرأي يا شيخ، وبارك الله فيك، إذا هيا بنا إلى منزل فراج لخطبة ابنته فاطمة على ابني رافع.

خرج الجميع متوجهين إلى بيت فراج، وعندما رأى فراج هذا الجمع متوجهًا إليه أحس بشيء من الريبة والخوف وتساءل ماذا يريد هؤلاء...؟ وما هو سبب تجمعهم...؟ وقطع عليه أفكاره وصول الوفد إليه، فبادروه بالسلام، ورد عليهم فقال له الشيخ: لقد جئناك في موضوع يا فراج، فرد فراج وهو في دهشة: خير... ما هو الموضوع...؟ الشيخ: أتريد سماعه عند الباب؟

فراج: عذرًا يا شيخ، تفضلوا الله يحييكم.

دخل الجميع منزل فراج، ونادى فراج في أهله: القهوة...القهوة.
جلس الجميع وسأل الشيخ عن همام...فرد فراج عليه وهو متوتر ماذا
همام...همام...ماذا تريد منه؟

الشيخ: خير...خير نريده في خير...فقام فراج وأرسل في طلب
همام...وما هي إلا لحظات حتى أتى همام وسلم على القوم وحياتهم
وفي مخيلته أكثر من سؤال...ماذا يريدون هذه المرة؟ وما هو سبب
قدومهم؟

الشيخ: اجلس يا همام...إنني أرى في وجهك أنت وفراج الدهشة
والتساؤل عن سبب قدومنا، ولكما الحق في ذلك فقد عانيتم
كثيراً...من عادات عانى منها الكثير من عشيرتنا، وجاء اليوم جيل
جديد أشجع منا وطلب إلغائها، وبما أنني كبير القوم أعلن أن ما
حدث من حماد وفراج كان تصرفاً صحيحاً ليس عاراً ولكن كان في
غير وقته، وها أنا آتيك اليوم بكبار عشيرتي لأطلب يد ابنتك فاطمة
لولدي رافع، فماذا تقول؟

نظر فراج إلى الشيخ وبدأت عيناه تذرفان وهو يتمتم: رحمة الله عليك يا حماد...رحمة الله عليك يا حماد والجميع ينظرون إليه...وقال أحدهم لم ترد على الشيخ يا فراج.

فراج: ابنتي ابنتكم ايضاً.

وتنفس الشيخ الصعداء وقال وهو مبتهج: فلنقرأ الفاتحة...وقام الجميع بالمباركة للشيخ ولفراج ولهمام...وقال أحد الحاضرين متى الزواج يا شيخ؟

الشيخ: فلتسألوا فراج.

فراج: كما قلت لكم ابنتي ابنتكم.

الشيخ: إذا سوف يكون الزواج يوم الجمعة القادم.

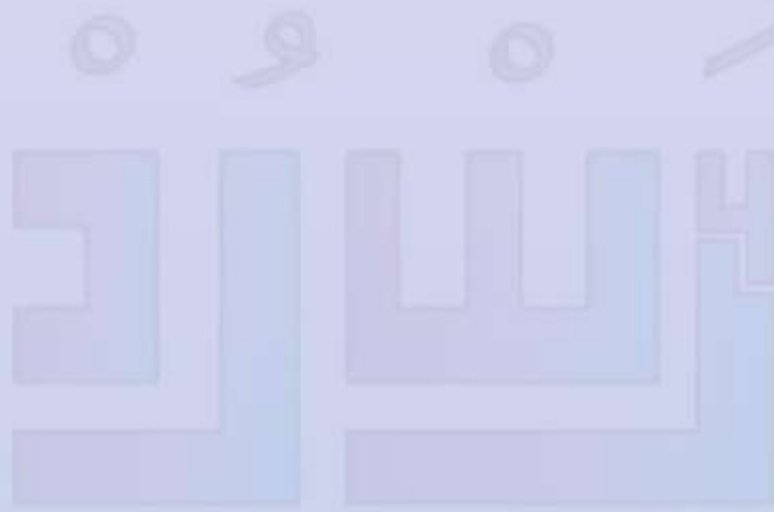
فراج: على بركة الله.

تناقل أهل الوادي فرحين خبر خطبة ابن الشيخ على ابنة فراج، واستنفرت القرية جميعها لتجهيز هذه المناسبة السعيدة، فالموعد قريب والحدث جليل...وجاء يوم الجمعة واحتفل الوادي بزواج رافع وفاطمة ودُقت الدفوف ورقص النساء والأولاد...ورقص الوادي معهم، واهتزت الأرض تحتهم لتلاقي النفوس محطمةً أفكاراً

ومفاهيم عاشت وعشعشت في عقولهم، كانت سببًا في تعاستهم
وسدًا منيعًا لأي أمل جديد، فكانت تلك العادات تحت كل رقصة
تنخفض وتهوي وتضمحل، واستمر الجميع في الرقص إلى أن
طلعت الشمس رويدًا... رويدًا من جوف الظلام ليصرخ همام قائلاً:
انظروا... انظروا إلى الوادي، الشمس تسطع عليه، أين الظل؟ لقد
اختفى... لقد اختفى... مع اختفاء أشجار الدوم والسرْح والعُشْر
انظروا إلى جمال الأزهار... إنه لم يعد وادي الظل.. إنه لم يعد وادي
الظل، إنه وادي الزهور أليس كذلك؟

إنه وادي الزهور ألا توافقونني الرأي؟ وتوقف الجميع عن الرقص
ووجهوا أنظارهم إلى الوادي وقالوا بصوت واحد: نعم.. نعم... لقد
اختفى الظل... لقد اختفى الظل إنه وادي الزهور... إنه وادي الزهور

للنشر الإلكتروني



ASRUD

للنشر الإلكتروني

مثلث الوهم

كعاداته وقف ريان أمام المرأة وأخذ يحدث نفسه: مثلث برمودا منطقة بحرية تقع شمال جزر البحر الكاريبي.

قليل عنها الكثير.

وكتب عنها الكثير.

صورت الأفلام عنه.

حدد المثلث وشكله بالخيال.

والغريب أن أحداثه قديمة ولم نسمع عنه شيئاً جديداً.

هل هو حقيقة أم أسطورة؟

ولماذا اهتم به الإنسان الحديث؟

وأشغل باله به؟ هل لأنه غامض بغموض حاضره ومستقبله؟ أم

حنينه للماضي وأساطيره؟ أم أنه لم يجد شيئاً يتناوله ويسبح فيه

بفكره؟ لذا خاض فيه رغم أنه لا يعرف حقيقته، وفضل أن يدخل

في دائرة لا نهاية لها، لعلها تنهي معاناته وتبقيه مشغولاً لئلا يفكر في أشياء تعكر صفوه وتقلق منامه.

يجب أن أخوض هذه المغامرة، يجب أن أذهب إلى ذلك المثلث لأعرف هل هو حقيقة أم خيال؟.

أخترق أضلاعه، أسبر أغواره، وأفكّ طلاسمه.

وبعدها تتناقل وكالات الأنباء الخبر: "ريان يكتشف أسرار مثلث برمودا" وتنتهي الحكاية، وليبحث هواة الألغاز والأساطير عن لغز جديد أو أسطورة أخرى قديمة قدم التاريخ.

إنه حلم سوف أسعى إلى تحقيقه.

توقف ريان عندما سمع طرق الباب، وأخذ يسأل نفسه: من زائر

الليل هذا؟! وقام من مكانه متثاقلاً، وفتح الباب وإذ به صديقه

بشار، فقال ساخراً: بشرني ماذا لديك؟

نظر إليه بشار بحقد وقال: هل تهزأ مني، الذين يأتون في منتصف

الليل هل يحضرون ببشائر؟

ريان: ادخل، ادخل فالحال من بعضه، فالطيور كما قيل على أشكالها تقع، ادخل سوف أحضر الشاي.

بشار: لقد سئمت هذه الحياة لا عمل، لا هدف، حقيقة أحياناً أفكر في الانتحار، أعتقد أنه الحل الأمثل لمشكلتي.

ريان: الحل الأمثل هو إيجاد الهدف أو الدافع كما فعل خرسstof كولومبوس، أنا أجزم يا صديقي أن خرسstof كان يعاني من القلق والخوف وكذلك الإحباط فلو كان يشعر بالسعادة والطمأنينة لما خاطر بنفسه وذهب إلى المجهول لذا فهو الشخصية التي سوف تخرجنا من هذا.

بشار: تريد اكتشاف قارة جديدة؟

لو كنت أعيش زمانه لما أصابني الإحباط فكل شيء في عهده كان متاحاً، الفرص كثيرة والحياة بسيطة وغير معقدة.

انظر حولك لم يعد مجال في هذه الحياة أو موقع لم يستنزف، لقد قُرئ التاريخ سابقاً وطبق وظهرت النتائج، لقد انتهى كل شيء، وأنت ما زالت تنظر للتاريخ كمنبع؟. المنبع يا صديقي انتهى أنت

تعيش الفراغ ما هو الفراغ، إن حياتنا كطائرة تعطلت محركاتها فأحلامنا مثل هذه الطائرة آيلة للسقوط.

ريان: هناك أكيد أجزاء لم تكتشف في هذا العالم.

بشار: ماذا تقول؟ السماء مليئة بالأقمار الصناعية يمكنك مشاهدة العالم عن طريق الإنترنت، كل شيء في عالمك أصبح واضحًا، عالمك أصبح قرية صغيرة تحت جبل عالٍ، أنت فوق هذا الجبل تشاهد كل شيء مع ملاحظة أنني لم أتطرق إلى الأجهزة الأخرى المجهولة والتي لم يتم طرحها في الأسواق.

ريان: ماذا عن مثلث برمودا مثلاً، أتعلم عنه شيئاً؟
بشار: إنه أسطورة إنه خرافة.

ريان: ماذا تقول؟ لقد اختفت سفن وطائرات في هذا المثلث، لم يوجد لها أثر إلى وقتنا الحاضر.

بشار: إن هذه الأحاجي حدثت في الستينات هل سمعت بحادثة مماثلة لها منذ ذلك التاريخ؟ لقد كان لديهم قصور في مجال

الاتصالات والتكنولوجيا بشكل عام، وكان من الواجب إيجاد سبب يركنون إليه فكانت هذه الأسطورة.

ريان: ولكن الناس والعلماء ما زالوا يتحدثون عنها.

بشار: نعم يتحدثون فلا بد من الأسطورة لكي تعيش.

ريان: لم أفهم؟.

بشار: الإنسان لا يملك الإجابات لكل الأسئلة، فما تم حله أو عرف سببه أصبح حقيقة، وما لم يستطع الإجابة عليه كان مجهولاً، وهذا يضايقهم فلا بد من إجابة، فالأسطورة هي الإجابة لهذه الأسئلة المزعجة.

ريان: إذن وجدنا الهدف، ولنتحقق ما إذا كان مثلث برمودا حقيقة أم أسطورة.

بشار: أولاً هي مضیعة للوقت، ثانياً كيف نثبت ذلك؟

ريان: يا صديقي أنت أساساً تفكر في الانتحار لمعاناتك من الإحباط، فما أهمية الوقت عندك؟.

ثم بالنسبة للإجابة عن سؤالك كيف؟ فنحن نملك منزلين لا حاجة لنا بهما فلنبعهما وبثمنهما نقوم برحلة إلى الكاريبي حيث مثلث برمودا، ونقوم برحلة بحرية إلى نفس المناطق التي اختفت فيها الطائرات والسفن، ونرى ماذا يحدث، فإن متنا فقد تحقق حلمك، فالانتحار هو الموت وإن حدث غير ذلك.

بشار: توقف عن الكلام باختصار أنا مستعد ما هو المطلوب مني الآن؟

ريان: أنظر لقد طلعت الشمس لقد اختفى الظلام إنه الأمل يا صديقي.

بشار: دعك من الرومانسية الآن، أخبرني ما هو المطلوب مني؟

ريان: المطلوب هو في الحقيقة إنني أشعر بنعاس شديد لذا علنيا إراحة أجسامنا ولو لمدة 4 ساعات فقط، وبعدها سنقوم بأخذ أوراق منزلنا وبيعهما وبهذا المبلغ نقوم بشراء التذاكر والسفر إلى الكاريبي، أعني إحدى دول الكاريبي حيث مثلث برمودا، هذه الخطوة الأولى وسوف تكون خطوتنا الأخرى هناك ما رأيك؟

بشار: موافق يا خرستوف، وأنا كذلك أشعر بنعاس ولكن لو ذهبت إلى منزلي أخاف أن أفقد هذه الفرصة.

ريان: إذن دعني أحضر لك فراشًا وغطاءً، أعتقد أن 4 ساعات كافية؟

بشار: نعم كافية، ولا أريد منك إحضار أي شيء سوف أنام على (الأريكة) فالمشكلة ليست فراشًا وغطاءً، المشكلة القلق، وبما أنني سوف أنام وهنالك شخص بالجوار سأشعر بالأمان.

اتجه ريان إلى غرفة نومه متثاقلاً، ونظر إلى السرير قليلاً: ثم رمى بجسمه.

استيقظ بشار على نداء ريان وهو يوقظه من النوم.

واتجها إلى أقرب مكتب عقار، وقاما ببيع منزليهما وسافرا إلى برمودا، وفي اليوم التالي لوصولهما اتجها إلى المرفأ حيث وجدوا رجلاً في الستينات من عمره يُدعى راموس، لديه مركب، طلبا منه أخذهما في جولة بحرية مفتوحة، ورغم أن بشاراً لم يكن يؤمن بفكرة ريان المجنونة، سأل راموس قائلاً: نحن نسمع دائماً عن

مثلث برمودا أتعرف عنه شيئاً؟

راموس: أعرف أن هناك جزيرة اسمها برمودا هذا كل ما أعرفه.

بشار: ولكن ماذا عن المثلث يقولون: إن هناك شيئاً غامضاً فهناك سفن وطائرات اختفت.

راموس: لقد عشنا نحن وأسلافنا في منطقة الكاريبي وهي كما تعلمان جزر يحيطها بحر وهذا البحر يتميز بشعابه المرجانية الخطيرة إضافة إلى عواصفه الهوجاء، وبما أنني بحار فأنا أستطيع أو أجزم بأن تلك السفن غرقت نتيجة لهذين العاملين.

بشار: تقصد أن مثلث برمودا هو وهم لا وجود له؟
راموس: لقد عملت في البحر لمدة 45 عامًا وأنا أعلم أنني قد أكون عرضة للغرق لهذين العاملين لا غير، وأنا لا أؤمن بما يقال عن وجود شيء غامض، ولكن البشر يحبون سماع مثل هذه الأشياء.

ريان: ولكن أنت يا راموس ملم بالبحر، ولكن ماذا عن السماء ألم تسمع بأن هناك طائرات اختفت؟

راموس: كما قلت لك: الكاريبي معرض لعواصف عاتية، إنها تزورنا أكثر من مرة في العام وتزيل محاصيلنا ومنازلنا، إنها تقلع الأشجار وتهدم المنازل المثبتة في الأرض فما بالك بالأجسام المتحركة في السماء، وكما تلاحظ أن هذه الحادثة حدثت في الستينات ولم تتكرر، أقصد بالنسبة للطائرات بفضل الأقمار الصناعية والتي ساعدت على ملاحظة هذه العواصف وأصبحت تتابع تحركاتها.

ريان: راموس بما أنك عملت في البحر لمدة 45 عامًا فلديك الخبرة الكافية لإطلاعنا عن أفضل القوارب وأغراض الملاحين الأخرى. راموس: إن كنت تريد مساعدتي بشكل صحيح فيجب إخباري عن الغرض الذي من أجله تريد شراء مركب.

بشار: لا يوجد سر، فنحن لا نبحث عن كنز، إن صديقي يريد أن يقوم برحلة على نفس الطرق البحرية التي سلكتها مراكب أو طائرات اختفت، ليخرج من هذه التجربة بإجابة شافية لهذا اللغز أهو حقيقة أم خيال؟.

راموس: وما الفائدة من كل ذلك؟
ريان: ليبقى لنا في هذه الحياة دافع نعيش من أجله.

راموس: الدوافع كثيرة ومتوفرة بهذه الجزر، وبما أنه لديكما المال فبإمكانكما تحقيقها، إنكما الآن موجودان في أجمل بقعة على وجه الأرض، بإمكانكما شراء مزرعة، فأهل هذه الجزر أناس طيبون، أو بإمكانكما فتح مطعم، أو نُزل، فالسياحة هنا شائعة، وهذه دوافع حقيقية، بناء أسرة والعيش في بلد جميل.

إضافة إلى ذلك فالأمريكان بتقنياتهم الحديثة قاموا بدراسات متعددة كلفتهم مبالغ هائلة ولم يصلوا إلى شيء.
ريان: راموس نحن أتينا من أجل هدف محدد إنك بكلامك هذا تضيع وقتك ووقتنا.

راموس: أوه آسف، إذن هناك حل آخر، أنا رجل تجاوزت الستين من عمري، ولم يبق الكثير، لذا أنا مستعد لمشارككما هذه الرحلة المجنونة، آسف أعني مغامرتكم، فأنتما بحاجة لرجل يعرف البحر، فأنا من هذه المنطقة وأعرف منطقة الكاريبي طولاً وعرضاً، لماذا لا

تستأجراني وتدفعان لي مقدماً وذلك لوجود التزامات مادية لدي ولن يكلفكم الكثير فما أطلبه منكما سيكون أقل من ما تحتاجانه من نفقات، سوف أطلب منكما 5000 دولار لشهر واحد، وسوف أدور بكما شمال الكاريبي بمركبي هذا والمدة التي تريدانها، وسوف أتفرغ معكما من هذه اللحظة في دراسة خط السير، ماذا تقولان؟

-موافقان

راموس: إذن المنطقة التي سوف نقوم بعمل البحث فيها هي مليون متر مربع، بين بورتريكو وبرمودا، وشرق فلوريدا، وهذه هي المناطق التي تحدد المثلث الوهمي، يعني أننا نحتاج لأكثر من 3 أشهر لعملية البحث.

ثانياً: إن أغلب الحوادث حدثت في بداية السنة الميلادية، يعني في شهور الشتاء ونحن الآن في شهر نوفمبر، يعني أننا سوف ننتظر لمدة ثلاثة أسابيع كي نبدأ رحلتنا، وهذا ما نحتاجه لتجهيز الرحلة بشكل مناسب.

وأخيرًا أريد أن أختتم كلامي بالآتي: إنني رجل أكبركما سنًا وأنتما في عمر أولادي، ورغم أنني في حاجة ماسة للمادة إلا أن ما تقومون به مضيعة للوقت وهدر للمال، فمثلث برمودا ما هو إلا أسطورة، وإن الحوادث التي حدثت كما أخبرتكما هي في الشتاء حيث العواصف وهيجان البحر، وقام سريعًا بفرد الخارطة وقال: والآن أريدكما أن تريا الخريطة، انظرا إن المثلث المزعوم يوجد تقريبًا في وسط الكرة الأرضية، رأسه يتجه إلى مضيق بين فلوريدا وكوبا، وضلعاه الآخران أحدهما محجوز بجزر الكاريبي من الجنوب، والآخر محجوز بأراضي الولايات المتحدة من الناحية الشمالية، وهو يمثل رأس حربة لمياه الأطلسي المتدفقة إلى الكاريبي، ولو دققتما تلاحظان أن مياه الأطلسي محجوزة بين أربع قارات من الشمال إلى الجنوب، فالمياه محجوزة بشكل أسطواني وتياراتها كذلك فجأة تجد مخرجًا ينتهي بمضيق، يحف هذا المخرج جزر وشعاب متصلة من الجنوب وقارة من الشمال فماذا يحدث؟ إن إمكانية حدوث كوارث في هذه المنطقة واردٌ وهي من عمل الطبيعة، والآن أنا انتهيت فماذا لديكما؟ ريان: كلامك جميل يا راموس، ولكننا وضعنا هدفًا محددًا عندما

خرجنا من ديارنا، ولا ننوي التراجع عنه حتى وإن كان واهياً.
راموس: إذن لنوقع العقد، وسلّماني مبلغ 15000 دولار، إضافة لـ
1000 دولار للوازم الرحلة.

في صباح اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر
صعد الثلاثة المركب وتحركوا متجهين شمالاً تاركين جزيرة برمودا
خلفهم وواصلوا التقدم شمالاً حتى اختفت الجزيرة ومعالمها وأصبح
الجميع لا يرون إلا البحر من كل الجهات، عند ذلك أوقف راموس
المكائن وقام بفرد الشراع ورفع يديه وقال: أيها السادة، إن الرياح هي
طاقتنا والتكنولوجيا هي مواجهتنا.

ريان: إذن ما هو دورك أنت؟
راموس: أنا الإنسان الذي اخترع التكنولوجيا وقهر الطبيعة.

بشار: كلها سنوات سيقوم أخوك الإنسان بقهر أخويه الإنسان وسوف
تعمل كل هذه الأجهزة (عن بُعد) بريموت كنترول كما يلعب الأطفال
بالأجهزة.

وعندها لن يكون هناك قبطان أو طيار، فقط غرف مغلقة تدير كل شيء.

راموس: وماذا سوف يحدث لأمثالنا؟ كيف نعيش؟

ريان: هذا السؤال يسأله شاب في مقتبل العمر وليس أنت.

لم يلتفت راموس لإجابة ريان الاستفزازية بل استمر في طريقه شمالاً تقوده الرياح والتي كانت تدفع المركب شرقاً وأحياناً أخرى إلى الغرب. وخلال ذلك كانوا يتوقفون في الجزر التي يمرون بها في طريقهم، كانت الطيور والدلافين ترافقهم وكأنها تشد من أزهرهم.

مع أول أيام السنة الميلادية الجديدة، وجدوا في طريقهم جزيرة لا يتعدى طولها 30 متراً وعرضها لا يتجاوز الـ 9 أمتار بها عدد من أشجار جوز الهند، وقد غطت أرضيتها بالحشائش وأزهار جميلة مختلفة الألوان، بدت وكأنها واحة في صحراء.

فقال راموس: لن تجدوا أيها السادة أجمل من هذا النزل، سوف نقيم فيه يوماً كاملاً، إنني ورغم عملي الطويل في البحر لم أر جزيرة بهذا الصغر لديها هذا الجمال.

غادروا الجزيرة تلك بعد أن مكثوا فيها يومًا كاملاً، وفي صباح اليوم التالي من مغادرتهم وعلى بعد 57 ميلاً من تلك الجزيرة لاحظ بشار بأن رأسه يكاد أن ينفجر، وشعر بآلام مبرحة، وعندما أطلع راموس على آلامه قال: إنه يشعر بنفس الألم وكذلك ريان، عندها بدأت الأمواج تتلاطم بسرعة كبيرة، ولاحظوا أن مركبهم يدور حول نفسه رغم توقف الرياح، فأسرع راموس رغم الآلام التي يشعر بها وأنزل الشراع وحاول تشغيل المحركات في محاولة منه للعودة للجزيرة التي خرج منها، وبدا عليه التوتر وهو يحاول تشغيل المحركات، وأخذ يتكلم بلغة مبهمه على مرافقيه فليست إنجليزية أو إسبانية وكأنها تعويذات.

باءت جميع محاولاته بالفشل، وأخذ المركب يدور بسرعة كبيرة، عندها طلب راموس من ريان وبشار ربط أنفسهم بالمركب وحمل السكاكين في أيديهم لقطع الحبال إذا دعت الحاجة، ورجع إلى متماته ولغته المبهمة، وما هي إلا لحظات وإذا بالأمواج الصغيرة المتلاطمة بشكل سريع بدأت تتجمع معاً مكونة موجات أكبر وأكبر، وهي تحمل المركب وتتناقله بينها، وأصبح المركب وكأنه كرة يتناقلها

اللاعبون، وأخذت الأمواج تكبر شيئاً فشيئاً وكأن كل واحدة تبتلع الأخرى، حتى بدأت الأمواج تتناقص ثم تحولت إلى موجة كبيرة جداً وبعلو جبل، وأخذت تحمل المركب عاليًا ثم تهبط به وتحمله مرة أخرى إلى القمة، ومع هذه الرقصات ارتفع صوت تمتمات راموس، وهو ينظر يمينًا وشمالاً وإلى الأعلى والأسفل، وبدأ هدير صوت البحر يرتفع عاليًا ترافقه قرععاتٌ وصفيرٌ مزعج، وإذ يلوح بالأفق عامود أسطوانى متصل بين السماء والبحر بعرض كيلومتر يدور حول نفسه بسرعة كبيرة متجهًا نحو هذه الموجة، يحمل ألوان قوس قزح لترتفع الموجة حاملة المركب فوق قممتها، وكأنها تريد أن تقدمه قربانًا لهذا العامود، وما إن اقترب هذا العامود حتى تلاشت هذه الموجة وهبطت خاضعة أمام هذا العامود إلى قعر البحر فهوى القارب إلى القاع ولامس الأرض، ثم اندفع بسرعة هائلة داخل هذا العامود، وما هي إلا ثوانٍ معدودة وإذ براموس ورفاقه يرون الكاريبي وجزره وأجزاء من الأمريكتين تحتهم، وثنانٍ أخرى ليروا العالم داخل كرتة الزرقاء، ثوانٍ ويدخلوا في الظلام، وتبدو مجرتهم درب التبانة بشموسها وكواكبها نقاطًا صغيرة تلمع في الظلام، لتهدأ هذه السرعة المجنونة.

توقفت تمتمات راموس، ونظر لمن حوله وقال: إنها حقيقة، إنها حقيقة وليست وهمًا ولكن، ولكن ماذا بعد ذلك؟!

بشار: انظروا، انظروا، إننا متجهون إلى كوكب له حزام، انظروا إلى ألوان هذا الحزام، إنه يشبه لون العامود الذي يحملنا كم هو جميل، انظروا إننا نقرب منه.

ريان: قد يكون هو محطتنا الأخيرة.
راموس: تقصد مثوانا الأخير.

لاحظ الجميع أن هذا العامود متجهًا إلى ذلك الكوكب والذي يحمل ألوان-ألوان قوس قزح- بينما بقية الكوكب التي كانت حوله تحمل اللون الرمادي.

أخذ اندفاع المركب يزداد سرعة وبدأت تتضح معالم الحزام رويدًا رويدًا، فإذا هو عبارة عن نهر مائي يجري وسط الكوكب، تحفه الأشجار، وما إن وصلوا على ارتفاع 2000 قدم حتى خف اندفاع ذلك التيار، وأخذ المركب بالنزول وكأنه ريشة، حتى نزل إلى سطح النهر.

لاحظ الثلاثة أن النهر لم يكن عميقًا، وعرضه لا يتجاوز النصف كيلومتر، ولا توجد به انحناءات، وعلى جانبيه انتشرت أشجار ونباتات الكاريبي، الشيء المختلف هي الحشائش التي تملؤها الأزهار الملونة، التي ذكرتهم بتلك الجزيرة الصغيرة.

أخذ المركب ينساب، ويتجه إلى أحد ضفاف النهر، يدفعه تيار النهر والذي كان جريانه بطيئًا جدًا.

أسرع راموس ونزل من المركب وربطه بأحد أشجار جوز الهند، ونظر إليه ريان وقال: راموس، لقد سبقتنا إلى هذا الإنجاز، لقد وطئت قدمك هذه الأرض أولاً وفي الحقيقة إن هذا الشرف يناسبك، فقد فعلها أجدادك من قبل.

راموس: ولكن إنجازهم ورسالتهم وصلت إلى الأرض الأم.

ريان: ماذا أسمع؟ لو صدر هذا الكلام منا فهو غير مستغرب ولكن منك يا راموس؟ فأنت أحد أبناء أولئك المكتشفين الشجعان. راموس: إن أولئك المكتشفين سموا أغلب المدن بأسماء مدن البلد الأم، وحملوا نباتات وحيوانات البلد الأم معهم إلى الأرض الجديدة.

ريان: ما هي الرسالة من هذا الكلام؟

راموس: حنينهم إلى بلدهم الأم يا هذا، رغم أنهم خرجوا فقراء محبطين منه، وصلت الرسالة؟

بشار: لا تغضب يا راموس يمكنك تسمية هذه المنطقة بنيو برمودا، وعلى كل حال مناخها ونباتاتها جميعًا تحمل سمة مناطق الكاريبي، أضف إلى ذلك بأن مركبك معك، وهو يحتوي على بعض الحبوب من بلدك الأم.

راموس: ولكن أسلافي كان بإمكانهم الاتصال بالمناطق التي خرجوا منها.

هذا هو الفرق وأي فرق.

ريان: عدنا لنفس النعمة، البلد الأم، البلد الأم. راموس: تلومانني وأنا اتخذت خطوة وخرجت من المركب انظر، أنتما حتى لم تخرجا من المركب لإحساسكما بالانتماء إليه.

ريان: أردنا أن تكون الخطوة الأولى لك، فأنت أكبرنا سنًا، إضافة إلى أننا نكن احترامًا لأسلافك، وتركنا الخطوة الأولى أو الشرف لك، وها

أنا أملأ يدي بماء هذا النهر وأشربها، ومن هذه اللحظة الأولويات سوف تكون لنا.

وما إن انتهى من بلع الماء حتى صاح: إنها لذيذة، إنها منعشة، فتبعه الآخرون وأخذوا يشربان.

وما هي إلا ثوان بعد شربهم هذا الماء حتى شعر الجميع بآلام مبرحة، ومغص شديد مصحوبًا بصداع مؤلم، وعلى إثره بدأوا يتلوون من الألم، يعم كل أجسامهم ولا يعلمون أي عضو يتحسسون.

فجأة أخذوا بالتقيؤ والإسهال، وأخذت تنزف آذانهم وأنوفهم وبدأت عيونهم تفرز الدموع بشكل متواصل.

ظلوا على هذه الحالة قرابة الساعة، فجأة توقفت جميع تلك الإفرازات دفعة واحدة كما بدأت.

نظر كل واحد منهم إلى الآخر، كانت أجسادهم مسربة بما خرج منهم، حتى إن ألوان ملابسهم اختفت خلف تلك الحمم.

جلسوا على هذه الحالة مدة من الزمن ولم ينطقوا بكلمة واحدة، وعيونهم تدور وأذهانهم شاردة.

أخيرًا قام بشار ودخل الماء، وقام راموس وريان وتبعاه وأخذوا بالاستحمام، خلال ذلك شعر الجميع بأن أجسامهم بدأت تتخلص من ذلك الإعياء والإرهاق وأحسوا جميعًا بجوع شديد.

فتوجه راموس إلى المركب وقام بأخذ كيس يحتوي على بعض الخبز والجبن والحلوى، واتجه به إلى ضفة النهر، وتبعه بشار وريان وهما يرتجفان، وما إن وضع راموس قطعة من الخبز في فمه حتى بدأ يتقيأ مرة أخرى، عندها أرجع بشار وريان يديهما بعد أن أدخلها داخل الكيس ورميا ما كان فيهما من الخبز.

تراجعا إلى الخلف وهما يرتجفان من شدة الجوع وهما يحملقان تارة إلى الكيس وأخرى إلى راموس، وهو يتقيأ، خلال ذلك نظر بشار إلى عناقيد العنب المتدلّية وبعد تردد مد يده المرتعشة لا شعوريًا وقطع عنقودًا منها وأغمض عينيه وقام بالتهامه بنهم.

أعاد الكرّة، ومد يده وقطع عنقودًا آخر وبدأ بالتهامه بدون أن يغمض عينيه، ومد يده مرة أخرى وأخرى حتى توقفت الرجفة وسكت الجوع ثم قطع عددًا من العناقيد ورمّاها باتجاه ريان وراموس.

بعد تردد مد ريان يده إلى العناقيد الملقاة على العشب وأخذ يلتهمها بنهم شديد، وراموس ينظر إليهما بعد أن توقف القيء عنه.

نظر إليه بشار وقال: راموس، تناول هذه العنبات فهي لذيذة.

راموس: مثل الماء منعش ولذيذ؟.

بشار بابتسامة عريضة: جرب فإن كانت لذيذة وطيبة تسكت جوعك وإن كانت سمًا فما جدوى الحياة وحيدًا؟ فنظر إليه راموس ومد يده إلى أحد عناقيد العنب الملقاة وبدأ بالتهامها وهو يردد: إن لديك أسلوبًا مقنعًا جدًّا، وبعد أن التهموا العنب انتظروا النتيجة التي سوف يؤول إليها أكلهم لهذا العنب.

مضى الوقت ولم يحدث شيء، بل أحسوا أن الدم يجري في عروقهم وأن النشاط يعم أجسادهم مما أعطاهم إحساسًا بالطمأنينة وشيئًا من السعادة التي فقدوها منذ وصولهم هذا الكوكب، وبدأوا بتبادل الحديث والإبتسامات.

ريان: هل من أحد منكم أيها السادة يفسر لنا هذه الظاهرة العجيبة؟

بشار: أعتقد أن ماء النهر قد طهر أجسامنا وخلصها من أوساخها، والدليل على ذلك عندما قام راموس بتناول قطعة من الخبز والتي أحضرناها من الأرض تخلص منها الجسم أليس كذلك؟!

وتأكيدًا لكلامي عندما تناولنا العنب لم يحدث لنا شيء.

راموس: إن تفسيرك منطقي ولإثباته أشرب من ماء النهر ثانية.
بشار: ماذا تقول؟

راموس: أقول لك: اشرب من ماء النهر لإثبات نظريتك، فإن كان ما قلته صحيحًا لن يحدث لك شيء.

وقام بشار وتقدم نحو النهر بخطوات بطيئة ومد يده وأخذ رشفةً من الماء فصرخ راموس قائلاً: رشفة واحدة لا تكفي، وقام بشار بدوره وأخذ أكثر من رشفة ورجع وجلس تحت الشجرة ولم ينطق بكلمة، وانتظر الجميع حدوث شيء.

عندها قال راموس: نظريتك يا بشار صحيحة واتجه نحو النهر وشرب منه، وكذلك فعل ريان ولم يحدث لهما أي شيء من الأعراض التي حدثت لهم عندما شربوا من ماء النهر في المرة الأولى.

فقال ريان: ألا تلاحظون عدم وجود حيوانات أو طيور أو حتى فراشات؟ إنه لا يوجد في هذا الكوكب غير الماء والأشجار والحشائش أليس غريبًا؟

بشار: لن أقوم بالتفسير لكي لا تطلبوا مني برهانًا.

راموس: نعم إنه لشيء غريب، كيف جاء الماء وهذه الأشجار في هذا الشريط على هذا الكوكب؟

بشار: إنكم تتكلمون وكأنكم تجولتم داخل هذا الكوكب أو هذا الشريط لم يمض علينا وقت فيه ألا ترون أنكم تتسرعون.

راموس: معك حقًا يا بشار والآن ما هي الخطة؟

ريان: إنني أرى أولاً وضع إشارة توضح منطقة هبوطنا على هذا الكوكب، فالأشجار متشابهة والنهر مساره مستقيم.

راموس: ماذا تريد من تحديد الموقع خوفًا من أن تضيع؟ لقد وضعنا، فتكلم عن المرحلة الثانية.

ريان: الخطوة الثانية نصعد المركب ونتجه يمينًا أو شمالًا لنستكشف الموقع، قد يكون هناك بشر مثلنا، وأكد إن كانوا بشرًا سيكونون

بالتأكيد إسبانيين، لأن نقطة الإقلاع من مناطقكم لتتشغل بهم عنا.
راموس: تقصد أنني أصبحت مزعجاً؟
بشار: ماذا عن الخطوة الثالثة؟
ريان: نصعد المركب.

صعد الجميع المركب بعدما انتهى ريان من كتابة الأسماء الثلاثة،
وعمل علامات على أشجار ثلاث، وقام راموس ومد الشراع واتجه
يميناً، فقد كانت نسمة الهواء تتجه إلى اليمين، وبدأ المركب يتحرك
بهدوء متجهًا إلى المجهول.

وبينما كانت نسمة الهواء تدفع المركب بشكل مستقيم، لاحظ
الجميع وجود صخور على جانبي النهر ذات ألوان حمراء وزرقاء
وأخرى زجاجية اللون وأخرى بيضاء وصفراء بلون الذهب، عندها
وجه راموس المركب إلى أحد ضفاف النهر ونزل لمعاينة هذه
الصخور المتناثرة، وما إن وصلها صرخ: إنها أحجار كريمة، إنها
صخور من الذهب والفضة والألماس، إنها مذهشة، فناداه ريان من
على المركب قائلاً: راموس تعال واصعد المركب ولا تضع وقتنا، لا

يمكن أن تستفيد منها، هذا إن كانت صخورًا ثمينة كما تدعي؟ فأين ستبيعها ومن سيشتريها؟.

راموس: إنها حقيقة، فأنا أعرف الذهب وأعرف الأحجار الكريمة حق المعرفة، ولكن معك حق من سيشتريها، وجلس فوق صخرة للألماس وأخذ يردد: كم أنا مشتاق إليك أيتها الأرض.

بشار: لا تنطق جملة أخرى يكفي هذا.

ريان: توقفوا، لقد وجدت شيئًا حقيقيًا يمكن أن تتفاعلا معه، أنظرا أمامكما، ألا ترون هذه المعادن والتي تمتد رؤوسها من النهر.

راموس: إنها طائرات أمريكية إنها الرحلة رقم 19، انظر، إنها ست طائرات.

هنالك بشر، هناك رفقة، ألا تلاحظون أن الطائرات كما هي، ألوانها، لمعانها، إنها لم تصدأ، فلنبحث عن طاقمها.

بشار: طاقمها؟ ماذا تقول؟ إن هذه القصة حدثت عام 1945م، إنهم ميتون، وإن كان هناك أحياء فسنعمل لديهم ممرضين.

راموس: حتى لو حدث ذلك، فإنني لا أمانع، فشيء جميل أن تتصل بأناس مثلك.

بشار: وما نحن؟ ألسنا بشرًا؟ وللعلم نحن أصغر سنًا منك، فلديك الوقت وزيادة للاتصال، ولكن توقف عن ذكر الأرض وأهل الأرض.

ريان: دعوكم من ذلك ولنتقدم، فلا بد من وجود بشر آخرين، لا بد من وجود حضارات هنا، فذلك المثلث لا بد أنه أرسل بشرًا غيرنا، وغير أولئك الأمريكان، ولكن الغريب في الأمر أنه لم يرسل طائرًا أو ماعزًا أو غزالًا أو حتى بقرة، إنني متشوق للحوم، أصبحت في هذا الجزء نباتيًا.

بشار: لم تذكر السمك.

ريان: لقد كرهته، فمنذ وصولنا إلى الكاريبي كان 90% من الأكل سمكًا ومشتقاته.

وبينما هم على هذا الحال غلبهم النعاس فناموا الواحد تلو الآخر، واستمر المركب تدفعه نسمة الهواء بهدوء إلى الأمام.

استيقظ الجميع عندما اهتز قاربهم، وأحسوا أن شيئاً يسحبهم، يرافق هذا السحب أصوات بشر، ولغة غريبة وإذا بهم أمام مجموعة من هنود الإنكا، ولاحظوا وجود أكواخ على مد البصر منظمة عملت من الخشب وبشكل هندسي جميل يتوسطها معبد.

قام هؤلاء الهنود بأخذ الثلاثة معهم واتجهوا بهم إلى المدينة، وعند دخولهم وجدوا أطفالاً يحملون سلالاً بها زهور ملونة، وما إن دخلوا حتى بدأ الأطفال بنشر هذه الأزهار تحت أقدامهم، حتى وصلوا إلى عريشة منتصبة بالقرب من المعبد، وأجلسوهم، وجاء أطفال آخرون يحملون سلالاً بها ثمار المناطق الاستوائية.

كان الجميع يلبسون ملابس بيضاء، وأحذيتهم مصنوعة من الخشب بطريقة إبداعية، ويضعون فوق رؤوسهم أطواقاً مكونة من أوراق الأشجار والزهور.

وجاءت مجموعة من الرجال والنساء يلبسون نفس اللباس، ولكن زينت بعض أجزائه بألوان قوس قزح، واتجهوا إلى ركن في العريشة، نصبت فيها أريكة، وما إن جلسوا حتى جلس الجميع، فقام أكبرهم

سنًا يتحدث وموجهًا كلامه إلى راموس، فارتبك راموس، فهو لم يفهم كلمة مما قال وبدأ يتحدث بالإنجليزية والإسبانية، عند ذلك اتجه الرجل المسن بالنظر إلى أحد الجالسين على الأريكة فوقف ذلك الرجل وتحدث بالإسبانية موجهًا كلامه إلى راموس.

الرجل: إن الزعيم يسألك: متى وصلتم؟

راموس: حقيقة لا أعلم متى، فلم نلاحظ تعاقب ليل أو نهار، فنحن منذ وصولنا ونحن في نهار، ولكن حسب الساعة التي في يدي فنحن الآن ونظر إلى ساعته فإذا هي متوقفة وأعاد نظره وقال: لا أعلم لا أعلم، ولكن لم يمض علينا وقت كثير.

الرجل: هذا يعني أنه لم يمضِ على وجودكم هنا 5 أيام، إننا في هذا الجزء نحدد أوقاتنا بتعاقب الليل والنهار، أيضًا فالنهار في هذا الجزء يدوم لخمسة أيام ويأتي بعده الظلام ليبقى يومين، وسوف تعتادون على هذا التوقيت، وبالنسبة لتاريخ القادمين من الأرض يعتمد على تاريخ محدد وهو قبل قدوم الرجل الأبيض وبعده.

راموس: ألا يوجد بشر غيركم في عالمكم هذا؟

الرجل: نعم يوجد، هناك أجناس أخرى بيض وسود وهم قليلون يعيشون على مقربة منا، وعلى فكرة ليس بينهم نساء، ونحن لا نتعامل معهم ولا نسمح لهم بالعيش أو الاقتراب منا.

راموس: لأنهم عازبون؟

الرجل: لا ليس لهذا السبب فأنتم عازبون وليس معكم نساء، ورغم ذلك استقبلناكم واحتفلنا بكم.

راموس: إذن ما هو السبب؟

الرجل: اللون هو السبب، فكما تلاحظ أن لونكم مثل ألواننا فنحن جميعًا سمر ولو سمحنا لهؤلاء القوم بدخول عالمنا سوف يكون هنالك تزواج مما يؤدي لدخول جنس جديد، وهذا سوف يهددنا مستقبلاً فنحن لدينا نفس اللون ونفس اللغة فنحن شعب واحد.

راموس: ومن أين تعلمت اللغة الإسبانية؟

الرجل: تعلمتها من المستعمر فقد عملت معهم.

راموس: أراكم تلبسون ثيابًا مختلفة عن البقية وتجلسون على الأريكة بينما الآخرون يجلسون على الأرض.

الرجل: نحن نمثل الرواد القادمين من الأرض، وهؤلاء الجالسون أرضًا هم أبنائنا وأحفادنا وأحفاد أحفادنا، ففي هذا الجزء من الكون لا يوجد موت بل حياة أبدية.

راموس: إذن لا توجد لديكم مقابر؟

الرجل: ولا حتى أطباء، نحن لا نمرض ولا نموت، أقصد أن أي إنسان يصل لهذا الكوكب ويشرب من هذا النهر ويغتسل لا يمرض ولا يموت.

راموس: حتى ولو رجع إلى الأرض؟

الرجل: ابتسم وقال أتسخر مني؟ ولكن على كل حال قد يمرض الشخص إذا تشاجر مع أحد آخر لذلك الجميع يتحاشى الشجار.

راموس: وما هو نوع هذا المرض؟

الرجل: حزن شديد، وإذا اقترب الواحد منهم بأحد منا يشعر بالآلام شديدة لذلك يفضلون الابتعاد.

راموس: ومتى يشفون من هذا المرض؟

الرجل: أبدًا لا يشفون منه إنه أبدي.

تدخل ريان وقال: يا راموس أسأله إن كان يوجد لديهم لحم، أي لحم،

ابتسم راموس ووجه السؤال إلى الرجل.

الرجل: لا، لا يا صديقي لا يوجد في هذا الكون لحوم وكما تلاحظ لا

يوجد حيوان أو طائر أو حتى حشرة.

ريان: موجهًا كلامه لراموس لا تترجم لقد فهمت.

تدخل المترجم: الزعيم يسأل ما هي أخبار الأرض؟ فقد خرج منها

قبل وصول الرجل الأبيض؟

راموس: أصبحت الأرض قرية صغيرة، اختلطت فيها القوميات

وانصهرت وتزاوجت، إنها تطورت كثيرًا، ومن الصعب شرح ما حدث

خلال هذه السنوات، إنما هي مختلفة جدًا باختلاف كوكبكم عنا.

راموس: متى وصل هؤلاء الرواد؟

المترجم: كما سمعت، هناك مجموعة وصلوا قبل ظهور الرجل الأبيض وآخرون وهم قلة وأنا واحد منهم خرجنا بعد ظهوره.

وقد وصلنا بشكل متقطع، وكنا أنا وصديقي وأشار إلى أحد الجالسين بجانبه آخر أناس من الإنكا وصلنا هنا، وبعدها وصل مجموعة من السود والببيض معًا، وبعدها بزمن حضر رجال بيض على متن أجسام غريبة.

راموس: ولمَ لم تستقبلوهم أو تحدثوهم؟

المترجم: لا، لا، لا نريد أن نكون مواطنين من الدرجة الثانية في أرضنا، يكفي ما حصل في الأرض، نحن لسنا بسيئين، ولكننا لن نستعبد مرة أخرى، أفهمت.

راموس: على كل حال لم يعد هناك رق، وأعتقد أن من في الأرض الآن يتمنون أن يعود الرق ليحصلوا على وظيفة يقتاتون منها، بالمناسبة ألا يوجد رجل آخر يتكلم الإسبانية أو لغة غيرها

المترجم: لا، لا يوجد غيري وممنوع عليّ أن أعلمها لأي شخص وما قمت به شيء استثنائي ويأذن مسبق من الزعيم كما رأيت.

راموس: إذن لو أردنا الجلوس كيف سنتواصل معكم؟

المترجم: الزعيم ينظر إليكم وكأنكم جزء من العشيرة، فأنتم تحملون نفس اللون، والملامح قريبة منا، ويعتقد أننا أبناء رجل واحد فرق بينهم الزمن، وللعلم فإن تواصلكم معنا سهل، فهنا المرء ينمو حتى يبلغ 40 عامًا، وبعدها يتوقف، وأقصد الناس المولودون هنا، أما بالنسبة للقادمين من الأرض فإن كانت أعمارهم تحت الـ 40 عامًا ينمون حتى يصلوا لهذا الرقم، أما بالنسبة للقادمين إلى هنا وأعمارهم بعد الـ 40 فهم يبقون على عمرهم الذين جاؤوا به من الأرض مثال: كم عمرك أنت؟

راموس: عمري 63 عامًا.

المترجم: سوف تبقى على هذا العمر إلى الأبد ولديك الوقت لكي تتعلم لغتنا والتواصل معنا حتى الزواج إن أردت.

راموس: وماذا يقدم الرجل للعروس إذا أراد الزواج منها؟

المترجم: لا شيء فقط يختار المرأة التي يريد زواجها ويحاول إضحاكها، فإن ضحكت فهذا يعني تقبلها له وستقوم القبيلة ببناء كوخ لهما وبذلك يكونا قد تزوجا.

راموس: وكيف أعرف المرأة المتزوجة من غير المتزوجة؟

المترجم: المرأة المتزوجة أكام يديها قصيرة وغير المتزوجة أكامها طويلة

راموس: هناك سؤال يحيرنا وهو أنكم تلبسون الحرير رغم أنك تقول: إنه لا يوجد حشرات فالحرير معروف تنتجه حشرة.

الرجل: هذا ليس بحرير إنه ألياف لخليط من ألياف الشجر والذهب والفضة معمول بطريقة فنية.

عندها قال بشار: أنا أريد أن أتزوج، ما رأيك يا ريان؟

ريان: إنني أنظر لما هو أبعد.

بشار: إذن أرجوك يا راموس أخبرهم بأنني أريد الزواج والبقاء معهم.

ريان: ماذا تقول أتريد أن تتركنا؟

بشار: أليست هي حياة أبدية؟! أين سأذهب؟!

استأذن راموس من الزعيم بالسماح له بأخذ جولة في الكوكب، وخرج يرافقه ريان وتركاً بشاراً خلفهما ليختار شريكة حياته واستقلا المركب ورحلا مبتعدين عن المدينة.

بعد مغادرتهما المخيم بفترة قصيرة وجدا 3 أكواخ صندوقية الشكل مثل الأكواخ الموجودة في الأرياف الأوروبية، وما إن اتجه المركب نحوهم حتى خرجت مجموعة من البشر يلبسون زي طيارين، علم لحظتها راموس وريان أنهم الطيارون الأمريكيون، وما إن توقف المركب حتى وجدوهم في استقبالهم فرحين بهما، وخرج راموس وريان من المركب وتبادلوا التحية فقام أحدهم بسؤالهما: أعتقد أنكما الرواد الجدد؟

ريان: نعم نحن الرواد الجدد، أو النباتيون الجدد.

الرجل: أولاً أعرفكم بقائدنا تايلر وأستبيحه عذراً في مباشرة الحديث معكم بدون إذن منه.

تايلر: لا بأس رغم أن اللقب لا يعني لي شيئاً.

الرجل: إنني بصدد عمل تقويم، ويهمني معرفة التاريخ الذي خرجتم فيه من الأرض.

ريان: كان في 8 يناير 2020م.

الرجل: وكم مرة خيم عليكم الليل في هذا الكوكب.

ريان: لم نر الليل بعد.

الرجل: شكرًا اشكرًا، وتركهم ورجع مسرعًا إلى أحد الأكواخ أمام زهول ريان وراموس.

تايلر: اعذروه فهو من لحظة وصولنا وهو يسجل عدد الليالي التي تمر علينا لعمل تقويم.

راموس: ولكن ماذا عن الفترة التي قضيناها منذ لحظة انطلاقنا من الأرض ناهيك عن المدة التي قضيتها معها أنتم.

تايلر: الرجاء عدم مناقشته في هذا الأمر، دعوه يحتفل بإنجازه، فقد يكون هو الإنجاز الأول والأخير الذي سنحققه على هذا الكوكب الممل.

ريان: ممل؟ إنه لأمر غريب!!، صحة دائمة، حياة أبدية، انظر حتى ملابسكم لم تَبَلْ، ولقد رأينا طائرتكم وهي بحالة جيدة، إنها الجنة مع ملاحظة أنني أفقد اللحوم، فأنا كبغاء مناطق الكاريبي، ألوان زاهية أتناول الفواكه والمكسرات وأشرب ماءً فقط.

تايلر: إذن هي ليست بجنة.

راموس: سمعتك تقول الكوكب الممل، وأنا حقيقة أشاركك القول، رغم أنني لم يمض عليّ وقت طويل في هذا الكوكب، وقد يكون الملل لدي مختلفاً عنك، فلدي في الأرض عائلة وأنا في شوق إليها.

تايلر: أعلم شعورك، لقد كان لي عائلة أنا أيضًا.

ريان: ألم تفكر خلال هذه المدة لإيجاد طريقة للعودة؟، فأنت طيار ومن قومية مبدعة.

تايلر: ما هي أخبار الأرض الآن؟.

راموس: سوف أتكم فقط عن مجالك مجال الطيران، وبإمكانك القياس عن طريقه على الأشياء الأخرى، لقد وصل الإنسان إلى القمر، وملأت السماء بالأقمار الصناعية التي تراقب كل صغيرة

وكبيرة في الأرض، وتبث البرامج التلفزيونية والأحداث في نفس الوقت، وهناك طائرات نفثة تحمل أكثر من 400 راكب تصل سرعتها أكثر من 600 كلم/ الساعة، وطائرات حربية تفوق سرعتها سرعة الصوت، إضافة إلى طائرات أخرى تطير فوق الغلاف الجوي، وأشياء أخرى، فهذه المعلومات هي صادرة من رجل يعمل في البحر وليس له علاقة بالطيران.

تايلر: تقول: صعدوا القمر؟.

ريان: نعم ولكنك لم تجبني على سؤالي؟.

تايلر: الأرض خلقت من أجل الإنسان، فطبيعتها تقدم لك الحلول، أما هنا فكل شيء جامد لا عوائق ولا هدف.

راموس: العودة هدف، ألم تفكر أو تحاول؟

تايلر: إنه نفس سؤال صديقك، لقد فكرنا في العودة خلال هذه المدة لاستقلال التيار القادم من الأرض ومحاولة صنع طائرة، ولكن من أين لنا بالمواد لصنع طائرة ولو صنعناها من أين لنا بالطاقة اللازمة لتشغيلها، وكذلك من أين نحصل على محركات قوية تصمد أمام هذا

التيار، ونظر إلى ريان وقال: لقد نجح قومنا لأنهم واجهوا العوائق وفكروا والأرض أعانتهم في إيجاد الحلول.

راموس: طائراتكم موجودة وهي بحالة سليمة.

تايلر: ومن أين نحضر الوقود؟، وكم من الوقت يلزمنا لكي نصل إلى الأرض؟ وكيف تصمد محركاتنا أمام هذا التيار؟ إضافة إلى ذلك كيف يمكننا رفع الطائرات من النهر؟

ريان: ولماذا لا تطلبوا العون من قبائل الإنكا؟

تايلر: ماذا تقول؟ قبائل الإنكا! إنهم حتى لم يسمحوا لنا بالاقتراب منهم.

راموس: لقد تحدثت معهم، إنهم يخافون منكم، فاللون الأبيض يمثل المستعمر الذي استعبدتهم وسرق أرضهم وحول حياتهم إلى جحيم.

تايلر: ماذا؟ جحيم؟ لقد كانوا يعيشون كالحيوانات، فجاء الرجل الأبيض ليعلمهم ويعالج مريضهم ويخلصهم من وثنيتهم وأنهى صراعاتهم، ولكن أنت قلت: إنهم يكرهون الرجل الأبيض لأنه مستعمر، هناك زواج أيضًا منعوهم من الاقتراب منهم أهم أيضًا

مستعمرون؟

راموس: لقد ذكروا سببين، أولهما أن الرجل الأبيض يذكرهم بالمستعمر، والثاني أنه بالسماح لرجل أبيض أو أسود في الدخول في مجتمعهم قد يسمح بالتزاوج وظهور لون جديد يخلق تنافسًا في مجتمعهم.

تايلر: إنه فكر متطرف.

ريان: لقد قرأنا أن عددكم 27 وأرى أنكم 31.

تايلر: نحن 27 طاقم الرحلة، 19 أمريكيًا، أما هؤلاء فهم أوروبيون وصلوا قبلنا مع عدد من الرقيق.

ريان: تعني الزنوج؟

تايلر: نعم الزنوج.

ريان: ولكن أين هم؟

تايلر: يسكنون في الضفة الأخرى من النهر، يمكنك رؤية أكوأخهم من هنا، وأشار إليهم.

ريان: ولماذا لم تسكنوا معًا؟

تايلر: ها، ها، لا أعلم.

راموس: هناك طريقة لرفع الطائرات من النهر.

تايلر: وماذا عن المراحل الأخرى.

راموس: أولاً نخرج الطائرات، فعددنا 33 رجلاً إضافة إلى الزوج، بإمكاننا عمل المستحيل، إننا في هذه العزلة نحتاج لبعض، فإن وافقت فإنني سوف أذهب لأولئك الزوج وأطلب منهم العون.

تايلر: بأية لغة.

راموس: بلغة الإشارة والحب.

تايلر: أنا ورجالي مستعدون.

صعد راموس مركبه واتجه إلى موقع الزوج واستقبلوه وفرحوا به، وعن طريق الإشارة اكتشف راموس أن لديه مفردات فهمها منه الزوج فكان بعضهم يفهم بعض العبارات الإسبانية، وكان لجذور راموس

الدور الكبير للتفاهم معهم، حيث إن عرقه كان خليطًا إسبانيًا إفريقيًا إضافة عرق أجداده الإنكا، وهذا الخليط جعله مقربًا من الجميع.

حمل راموس معه في المركب تايلر وكولابالي زعيم الزوج وتحرك، فيما قام الآخرون بمتابعتهم بمحاذاة النهر، وما إن وصلوا إلى موقع الطائرات حتى حل الظلام، كان منظرًا مبهجًا لراموس ولريان فهذه المرة الأولى التي يحدث هذا الشيء معهما، فوقفا يتأملان السماء، كانت لوحة سوداء مرصعة بالألماس والأحجار الكريمة، ألوان النجوم حولهم تحمل الألوان الحمراء والزرقاء والخضراء، إنها مختلفة عن نجوم الأرض، لكن لها وميض يشبه وميض الألماس عندما يسقط عليه الضوء، وزينت سماء كوكبهم بخمسة أقمار كاملة الاستدارة لا يوجد بها نقص، مما جعل الجو العام رومانسيًا، أدخل في نفسيهما الفرحة.

واقترب منهما تايلر، الذي لاحظ شرودهما وانشغالهما، فقام بمشاركتهما، وقال لهما: أترى ذلك النجم البعيد بين القمرين الثاني والثالث؟ أتشاهدونه؟

راموس: نعم إنني أشاهد ذلك النجم المشع.

تايلر: نعم ذلك النجم المشع، أتراه يا ريان؟

ريان: نعم أراه.

تايلر: أترون بجانبه خيطًا من الدخان مضيئًا؟

راموس: نعم أراه.

تايلر: إنها مجرتنا درب التبانة.

ريان: وكيف عرفتها بين الكم الهائل من هذه النجوم؟

تايلر: إنه إحساس الطيار، لقد أحببت السماء.

وأكمل تايلر حديثه: أنظرا أتران ذلك الخيط القادم من بعيد،

المتصل بهذا الكوكب، انظرا إنه يحمل ألوان قوس قزح.

فقال ريان: إنه هو التيار الذي حملنا من الأرض.

تايلر: نعم، هو ذلك، أمّا الآن فيا سادة أستبيحكم عذرًا، أريد أن أنام،

فهذا الليل ليس متوفرًا دائمًا، فمن الواجب التمتع به، على فكرة لقد

تعرف زميلي الذي سألكم عن تاريخ قدومكم عن طريق المدة التي

يأخذها النهار في هذا الكوكب، فهي 5 أيام من أيام الأرض، كما أن الليل هو يومان من أيام الأرض، وهذا هو الإنجاز الأول لنا في هذا الكوكب.

ريان: لقد سمعنا بهذا الكلام من قبائل الإنكا عند زيارتنا لهم.

تايلر: إذن الرجاء لا تخبرا أحداً عن ذلك، فقد يُولّد إحباطاً لصديقنا، والآن تصبحون على خير، لا أعلم إن كانت هذه الكلمة مناسبة أم لا؟.

راموس: ريان هذا المنظر يحتاج إلى نار تُوقد، فهي رومانسية في هذا الجو.

ريان: ماذا تريد من النار، فأنت في هذا الكوكب لا يوجد حيوان أو طائر أو حشرة، فلا طبخ أو شواء.

راموس: إنني أتكلم عن الرومانسية يا رجل.

ريان: لم تكن رومانسيًا من قبل.

راموس: إنني أعيش الحلم.

ريان: الأرض تناديك، كم سنة بقي لك لتعيش؟ إنها تناديك لتخبرك.

راموس بغضب: نم سوف نبدأ العمل قريبًا.

نام الجميع، وظل ريان وقتًا من الزمن يتصفح السماء حتى غلبه النوم، وبعد فترة من الزمن غير معروفة قام الجميع، الواحد تلو الآخر وأحضروا الفواكه وتناولوا إفطارهم.

سأل تايلر راموس ما المطلوب؟.

راموس: ما زال الليل مخيمًا.

تايلر: ماذا تريد؟ أتريد أن ننام مرة أخرى؟

راموس: نحتاج أربعة أفراد لقطع الأشجار للحصول على جذوعها، والباقون يقومون بإحضار ألياف الأشجار وعمل حبال منها، أما أنا فسوف أقوم بمعاينة الطائرة وأخذ أبعادها.

تايلر: وبماذا نقص الأشجار؟

راموس: كل ما تحتاجه موجود في قاربي، وقام الجميع بما طلب منهم، وعند سقوط أول شجرة صرخ أحدهم: الآن أشعر أنني إنسان

وأنتمي إلى الأرض، وتتابع قص الأشجار وقام الرجال بالغطس في الماء ووضع تحت كل جناح 3 جذوع حتى تطفو الطائرة، ومن ثم طلب من تايلر إنزال (العجلات) وقاموا بربط الطائرة من قوائمها الثلاث وسحبها من النهر بالحبال التي صنعوها من الليف، وقاموا بعمل نفس الطريقة مع الطائرات الأخرى حتى أخرجوها جميعًا، وكانت آخرها مع طلوع النهار واعتبرها الجميع فأل خير عليهم، وأخذوا يتراقصون، وحملوا راموس فوق رؤوسهم بصفته قائدًا روحياً لهم، عندها تساءل الجميع ما هي المرحلة الأخرى؟.

راموس: المرحلة الأخرى سوف نتركها لتايلر وطاقمه.

تايلر: أيها السادة لقد شاركت في هذا المشروع رغم يقيني أن نسبة نجاحه لا تتعدى واحدًا في المليون، رغم أن هذه النسبة عملياً لا يمكن حدوثها، ولكن وضعت هذه النسبة لعلمي أن هناك أموراً غير منطقية تحدث، ومنها تواجدنا هنا في هذا الكوكب، ولا أقول هذا الكلام لإحباطكم ولكن لتشجيعكم لبذل طاقاتكم الفكرية والعملية لجعل هذه النسبة أكبر، ولنجعل من المستحيل شيئاً واقعياً، ولذلك

فنحن في حاجة لمجهود كل فرد يقف معنا هنا، لأن هذا المشروع مشروعنا جميعًا، لذلك سوف أشرح لكم ما هي المشكلات التي ستواجهنا، وعليكم مساعدتنا في إيجاد الحلول.

- الطائرات رابضة في النهر منذ 65 عامًا، فهي تحتاج لصيانة لتشغيلها وسوف أقوم أنا وطاقمي بهذه المهمة.

- الطائرات مجهزة لحمل عدد محدد وهي ست طائرات وعددنا هو 52 شخصًا.

- الوقود الموجود في الطائرة يكفي للطيران لمدة 4 ساعات ونحن لا نعلم كم المسافة من هنا إلى الأرض.

- لسفرنا إلى الأرض سوف نحلق من خلال تيار قوس قزح الذي سيقودنا إلى الأرض وهو تيار قوي وسوف نطير ضده.

إضافة لاحتياجنا لتقنية جديدة، وهذه سوف نحصل عليها عن طريق راموس وريان فهما آخر القادمين من الأرض وقد يفيدونا ببعض المعلومات، خاصة أنهما أخبرانا بأن الإنسان وصل إلى القمر، وهذا يعتبر إنجازًا قديمًا بالنسبة لهم، وهناك طائرات تطوف فوق الغلاف

الجوي فقد نستفيد منهم في وصفهم لهذه الطائرات وأية معلومات عنها، أما الآن أيها السادة فإنني وطاقمي سوف نأخذ قسطًا من الراحة وبعدها سنقوم بمحاولة تشغيل الطائرات، وأعتقد أنكم كذلك تحتاجون للراحة والتفكير، وأنا مستعد لسماع أي اقتراح منكم.

بعد أن أخذ تايلر وطاقمه قسطًا من الراحة بدأوا بفحص طائراتهم، يساندتهم الباقون بالوقوف معهم وتشجيعهم ومساعدتهم إذا ما اقتضت الحاجة، وجاء وقت التجربة، وصعد تايلر والطاقم طائراتهم وبدأوا بتشغيل المحركات وكانت المفاجأة السارة أن المحركات عملت من المحاولة الأولى، وتحرك تايلر، تتبعه الطائرات الأخرى إلى الموقع الذي اختاروه مسبقًا كمدرج لهم، تقاطرت الطائرات الست وعند حافة المدرج زادوا من قوة المحركات فاندفعت الطائرة الأولى بسرعة وأقلعت، فتبعتها بعد ذلك الطائرات الأخرى.

كان ذلك الصوت رغم إزعاجه

أجمل صوت سمعوه في حياتهم، ومنظر الطائرات وهي تحلق فوق رؤوسهم أجمل منظر رأوه، وأخذت الطائرات لفة كاملة لمدة 15

دقيقة مرت خلالها على مدينة الإنكا والذين كانت ردة فعلهم عند مشاهدتها خليطًا من الخوف والدهشة، وعادت الطائرات وهبطت بسلام وما إن أوقفت المحركات حتى أسرع الجمع المتبقي إليهم مهنئين فرحين ونزل تايلر وطاقمه من الطائرات، وتحدث تايلر وهو في قمة سعادته أن نسبة نجاحنا في المهمة هي الآن 50% فالطائرات جاهزة فلنحتفل الآن بإنجازنا.

ريان: وبماذا نحتفل لا توجد هنا غير الفاكهة فنحن هنا مثل القروء احتفالنا الحقيقي هو يوم مغادرتنا هذا الكوكب.

تايلر: إذا أسرعوا في إيجاد حل لمشكلة الوقود ومواجهة التيار، علمًا بأن طاقمي وجد حلاً لجعل طائراتنا قادرة على إيجاد حيز لحمل ركاب إضافيين عليها عن طريق بعض التعديلات.

وقام أحد الأوروبيين وقال يوجد لدي حل.

تايلر: تكلم فكلنا آذان صاغية.

الأوروبي: هناك طريقة تعالج موضوع الطاقة والتيار معًا، وهي إضافة مراوح لطائرات يشغلها التيار، وكلما زاد التيار اشتعلت المروحة أسرع

مثل المراوح الهولندية والتي تعتمد على التيار في تشغيلها لتزويد الطائرة بالطاقة الكهربائية.

تايلر: إنها فكرة جيدة ولكن من أين لنا بهذه المراوح فكما ترون نحتاج لمعدات وأفران، وأنا منذ وصلت هذا الكوكب لم أر نارا فما بالك بالأفران؟

راموس: شعوب الإنكا لديهم الحل، فقد رأيتهم يلبسون ثيابا بيضا وكنت أعتقد أنها حرير ولكن أخبروني أنها ألياف.

تايلر: ومن أين لهم هذه المعادن؟!

ريان: أليس الذهب والفضة معادن إنها تملأ هذا الوادي.

تايلر: إن هذه المعادن تحتاج لحدادين مهرة أوه، أقصد صاغة مهرة.

راموس: الإنكا لديهم الحل، فقد رأيت سلالاً يحملونها مصنوعة من الذهب والفضة مقابضها من الألماس، وزينت هذه السلال بالأحجار الكريمة، كذلك رأيت في أيديهم وأعناقهم وفي سيقانهم عقوداً مصنوعة بمهارة من الذهب والأحجار الكريمة روعة في الدقة والجمال.

تايلر: لقد وجدنا حلاً للمراوح، والسؤال الأخير سوف أوجهه لراموس وريان وهما القادران على الإجابة عليه، والسؤال: ما هي التقنية التي وصل إليها الإنسان في مجال الطيران؟

ريان: أروع ما توصل إليه الإنسان في مجال الطيران هو المكوك وهو عبارة عن طائرة قادرة على التحليق فوق الغلاف الجوي وتعود على الأرض تدفعها محركات نفثة، ووضعوا في مقدمة الطائرة نوعية من الخزف لحمايته من الاحتراق عند محاولتها اختراق الغلاف الجوي.

تايلر: إنها معلومة مهمة، ولكن من أين لنا بهذه التقنية؟

ريان: نجعل مقدمات الطائرات من الألماس، فهو أقوى معدن على وجه الأرض وكذلك هو متوفر هنا وبذلك نصل إلى ديارنا ونحن أغنياء وسوف يقوم الإنكا بمساعدتنا.

تايلر: إذن هذا عملكما أنت وراموس.

راموس: ألا يمكن أن تعملوا نموذجاً للمروحة التي تريدونها من الخشب لأخذها للإنكا؟

تايلر: نعم سوف يكون النموذج هو محرك المركب، فقام الطاقم بفك محرك المركب وأخذ من النماذج التي يريدونها مع قيامهم بتعديل في "ريش" المروحة وتسليمها إلى راموس، وطلبوا عمل 6 نماذج لكل طائرة، وقام راموس وريان بحمل هذه النماذج على مركبهم واتجها إلى الإنكا وعند وصولهما استقبلهما جمع كبير من الإنكا وعلى رأسهم زعيمهم، حيث شغلتهم الطائرات ويريدون معرفة ماذا يحدث حولهم.

وخرج من بين الصفوف بشار، يسحب امرأة من يدها وما إن وصل عانق ريان وراموس وعرفهما بزوجته، وعندها سأله راموس كيف أضحكتها؟ فقال: قلدت لها القرد.

وبعد الانتهاء من مراسم الاستقبال طلب الزعيم عن طريق مترجمه الاجتماع بريان وراموس فاتجهوا إلى العريشة، وسأل الزعيم راموس عن سبب قدومه وماذا عن الأجسام الغريبة؟!

راموس: إن هذه الأجسام طائرات تحمل البشر وإنني وأولئك القوم نريد الرحيل من هذا الكوكب، ولقد قمت باستخراج الطائرات للعودة

بها إلى الأرض، ولكني هنا أطلب منكم بعض الخدمة فالرجاء مساعدتي.

الزعيم: وما هي هذه الخدمة؟!

راموس: إننا لكي نصل نحتاج لأشياء إضافية مثل تغطية مقدمات الطائرات بالألماس، وكذلك حاجتنا لصنع نماذج لمثل هذه الأشياء وقام راموس بعرضها عليه، وفي الحقيقة ليست لنا دراية بالصياغة وكذلك ليس لدينا أفران أو حتى نارًا، وبشكل موجز نحن في حاجة إليك أيها الزعيم لمساعدتنا.

الزعيم: ليعود هؤلاء البيض مع قبائلهم وطائراتهم ويستعمرونا لا، لا، لن يحصل هذا.

عندها جثا راموس على ركبته وبدأ بالبكاء قائلاً: أيها الزعيم أعلم معاناتكم وأقدر حرصكم ولكن لدي زوجة وأبناء وأحفاد في الأرض، وإنني أتوق لرؤيتهم، عندها قام الزعيم وأوقف راموس وقال له: مالك والأرض؟ إنها موقع الأحران والآلام، وإنني ومنذ أن وصلت إلى هذا الكوكب لم أر دمة لرجل أو امرأة أو حتى طفل.

راموس: لو كانت معي عائلتي لما تمنيت كوكبًا غيره ولما اخترت صديقًا وأخًا غيرك.

الزعيم: لن أرفض طلبك يا راموس ولو أن ذلك يهدد عالمنا.

طلب الزعيم من مترجمه جمع عدد من الرجال وأخذ معداتهم والرحيل مع راموس لمساعدته، واتجه هو إلى داخل المعبد، وركب الجميع المركب بعدما حملوا ما يحتاجونه من أدوات، وقبل مغادرتهم جاء بشار وصعد معهم المركب، وبمجرد وصولهم قام رجال الإنكا بالتوجه إلى صخرة كبيرة من الألماس وبدأوا بحفرها وصنعوا منها قوالب للنماذج التي أعطيت لهم من راموس، وبعدها قاموا بإحضار عروق من الذهب ووضعوها داخل هذه القوالب وأضافوا عليها أحجارًا رمادية، و التي تفاعلت مع الذهب بسرعة هائلة وحولته إلى سائل، وما هي إلا لحظات قليلة حتى أخرجوا النموذج الأول، بينما قام آخرون من رجال الإنكا بعمل رقائق من الألماس وقاموا بالصاقها في مقدمة الطائرات حسب طلب تايلر، واستمر العمل حتى أقبل الليل مرة أخرى وهم في عمل مستمر

يرتاحون بين الحين والحين، بينما قام طاقم الرحلة 19 بتثبيت تلك المراوح الذهبية على جانبي الأجنحة، كل جناح يحتوي على ثلاث مراوح، وما إن طلع النهار حتى بدأت الطائرات الست وكأنهن ست نساء يقفن بشموخ متزينات بالألماس في أعناقهن وأسوار الذهب في أيديهن والجميع ينظر إليهن بإعجاب.

طلب تايلر من راموس والمترجم مرافقته إلى "مدينة الإنكا"، وعندما وصلوا إلى بوابة المدينة طلب من المترجم مقابلة الزعيم، وبمجرد وصول الزعيم بادره تايلر قائلاً: أيها الزعيم نيابة عن الجميع أشكرك على المساعدة التي قدمتها إلينا، وإنني أرفق هذا الشكر باعتذار وآسف لما عانى أسلافكم من الرجل الأبيض، ولتعلم أن السواد الأعظم من أسلافنا والذين هاجروا من بلدهم الأم إلى دياركم كان نتاجاً لمعاناتهم في بلدهم الذي خرجوا منه، وكانت بلدكم تعتبر حلماً لكل من طلب الأمن، وقد خرج آخرون من أجل الثراء وكما تعلم هناك فرق بين المطلبين، ولتعلم يا سيدي أن كوكبكم سوف يظل كنزاً مفقوداً عن عيون البشر، ولن يصل إليه أحد إلا من أرسلتهم الطبيعة إليكم، وهذا وعد مني ومن جميع مرافقي، والآن أطلب منك مرافقتي

لمشاهدة العمل الذي أنجزناه وكان لرجالك دور مهم فيه، وبعد هذا الكلام المطمئن قام زعيم القبيلة بمرافقتهم، وعند وصولهم صافح الزعيم الجميع وتمنى لهم عودة سالمة إلى ديارهم، وطلب تايلر من الزعيم الركوب في إحدى الطائرات وقام بالإقلاع بالطائرة وحلق فوق مدينة الإنكا، وقد كان الزعيم في أوج سعادته، وبعد طيران دام 20 دقيقة أنزل الزعيم من الطائرة فسأل، الزعيم عن موعد إقلاعهم فأخبره تايلر أنه سوف ينتظر حتى قدوم الليل ليظهر خيط قوس قزح، و الذي من خلاله سوف يعودون إلى الأرض لعدم إمكانية مشاهدته في النهار، عندها وعد الزعيم أنه لن يغادر الموقع حتى تقلع آخر طائرة ليكون في وداعها.

مر الوقت بطيئاً على المجموعة، فهم مشتاقون إلى الأرض، مشتاقون للعالم الذي خرجوا منه.

وجاء موعد الرحيل وقدم مجموعة من الإنكا رجالاً ونساءً يتقدمهم أطفالهم حاملين سلالاً من الذهب مقابضها من الألماس وقد ملئت بالفاكهة قدمت لكل فرد من المجموعة المغادرة سلة، إضافة إلى

قوارير صنعت من الفضة عبئت بماء النهر، وهذا ما أسعد الجميع لعلمهم أن هذا الماء يعالج جميع الأمراض الذي سمّوه ماء الحياة الأبدية، وبدأ الجميع التجهيز لركوب الطائرات فقد اقترب الليل وبدأوا بتوديع سكان الإنكا وزعيمهم، واتجه بشار إلى ريان وقال له: ريان، إننا خرجنا سويًا من الأرض وأتمنى أن نبقي معًا، ماذا تريد بالعودة ماذا تريد بالأرض أتريد العودة إلى الهموم؟

ريان: إنني لا أنتمي إلى هذا الكوكب فأنا لست نباتيًا، إضافة لذلك أريد أن أعود لأحتفل بإنجازي، فالحياة في هذا الكوكب روتينية ومملة.

بشار: إذن انطلق فقد بدأ الجميع بالصعود ولتسرع حتى لا يتركوك. صعد ريان كما فعل الجميع، وما إن بدأ الظلام حتى ظهر خيط قوس قزح فطلب تايلر من جميع الطيارين تشغيل محركاتهم وبدأ هدير الطائرات يملأ المكان وابتعد رجال الإنكا وأطفالهم ونساؤهم ومعهم بشار ابتعدوا فقط بأجسادهم ولكن لم تبتعد أرواحهم.

كانت عيونهم التي ملأتها الدموع مركزة على أسطول الطائرات، وظهر الخوف على وجوههم رغم أنهم لم يعرفوا الحزن أو الدموع منذ اليوم الأول الذي وصلوا فيه إلى هذا الكوكب.

أخذ هدير الطائرات بالازدياد، وتحركت متتابعة إلى أن وصلت إلى المدرج، وبدأ تايلر بالإقلاع وتبعه بعد ذلك السرب محلقي خلف قائدهم.

ظلت قبيلة الإنكار واقفة ومعها بشار حتى اختفت تلك الطائرات عن الأنظار وأخذوا بالانسحاب من الموقع يجرون أقدامهم متجهين إلى مدينتهم.

أخذت الطائرات الخمس تصارع ذلك التيار الذي أخذ يزداد كلما تعمقوا فيه، وبدأت المراوح التي ابتكرها ذلك الأوروبي الدوران بقوة كلما قوي التيار المعاكس، مما زاد في سرعة الطائرات.

كان الطيارون ومن معهم لا يشاهدون حولهم غير ظلام دامس في ذلك النفق، يظهر لهم بين لحظة وأخرى أضواء النجوم والأجرام حولهم وكأنهم يجرون بطائراتهم بسرعة هائلة فوق مدرج في السماء.

أخذت المراوح تدور بسرعة أقوى فأقوى حتى أصبح صريرها لا يطاق، وبدأت الطائرات بالانحراف من وقت لآخر، ولم يعد بالإمكان إيجاد حل لتلك الانحرافات رغم محاولة الطيارين إبقاء طائراتهم في مسار واحد، حتى استنزفت طاقاتهم واستسلموا وسلموا طائراتهم إلى الطبيعة، واستسلموا هم للنوم رغم محاولتهم البقاء مستيقظين، استيقظ الجميع عندما أصبحت الطائرات تتعرض لصددمات عنيفة الواحدة تلو الأخرى.

فجأة ظهرت مجرة درب التبانة، وأخذت تقترب المركبة رويدًا رويدًا من المجرة، وبدأت تهتز وتنحرف أكثر كلما اقتربت منها، حتى ظهرت الأرض بوضوح للجميع وهي تقف بين الكواكب الأخرى تدور حول أمها الشمس.

اتجهت الطائرات بسرعة مذهلة نحو الأرض.

أصبح الجميع يرى القارات يحيط بها الماء وتغشاها السحب.

زاد صرير المراوح يشاركها صوت قرقرة شديدة، وظهرت أصوات غريبة من داخل الطائرة مثل الفحيح، ونظر راموس إلى السلة التي

كانت بقربه والتي أهديت له من قبائل الإنكا، قارورة الماء والفاكهة لاحظ أنها بدأت تتلاشى رويدًا رويدًا، والفواكه تحولت جميعها إلى تراب يحمل ألوان قوس قزح ما لبثت أن تبخرت.

زادت الطقطقة والانحرافات ولاحظ الجميع أن المراوح التي صنعت من الذهب بدأت بالتلاشي، كذلك قطع الألماس التي وضعت في مقدمة الطائرة وعلى جنباتها.

ولاحظوا أن أجنحة الطائرة ومقدمتها بدأت بالإحمرار، وما هي إلا ثوانٍ وإذا بالطائرات جميعًا تندفع بقوة هائلة عائدة داخل التيار الذي أخذ يجذبها بقوة داخله ويجرفها متجهًا بها إلى المجهول مرة أخرى، فأخذ الجميع بالصراخ واستيقنوا أن ما شاهدوه كان آخر عهد لهم بالأرض، عندها قام ريان من موقعه وتسلق فوق الآخرين واتجه إلى الباب ودفعه بقدميه وهو يصرخ لا، لا لن أعود لن أعود ورمى بنفسه من الطائرة ليهوي في النفق ويسقط، وإذا به يسقط من فوق سريره وبشار فوق رأسه.

بشار: ما بك أفرغتني.

ريان: بشار أين زوجتك؟

بشار: ماذا بك ماذا دهاك أي زوجة؟

ريان: أين أنا أين راموس؟

بشار: أنت في منزلك ومن هو راموس؟

ريان: في بيتي؟ الحمد لله، الحمد لله، ووقف وبدأ ينظر حوله ثم قال

لبشار: هيا، هيا لنخرج.

بشار: إلى أين بلباس النوم؟، ماذا حدث لك؟!

ريان: أوه نعم واتجه إلى الدولار ورمى بجامته ولبس ثوبه، وقال

لبشار: هيا لنخرج.

بشار: المعذرة لقد أحسست بالجوع ولقد تناولت بعض الفاكهة من

ثلاجتك أتريد موزة؟.

ريان: ماذا موزة؟ فاكهة؟ أبعدا عني، أبعدا عني، أنا كذلك أشعر

بالجوع سوف آخذك إلى أفخر مطعم مشويات في المدينة.

بشار: وماذا عن موضوع مثلث برمودا؟

• أنين الرمال

المبالغة في حماية المرأة.. شقاء للرجل وقتل للمرأة

• وادي الظل

العادات.. الجهل يحييها والحاجة والمال تلغيها

• مثلث الوهم

الواقع ثابت لا جديد... تعيش فيه الحقيقة

والمجهول.. لعير ولع يسمع

فراغ يسبح فيه الخيال ويعيش فيه الخوف والأمل



ASRUD